المشرق

المستطرفات المستظرفات

في حياة السيد جرمانوس فرحات

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني الحلبي

توطئة

ما كدت اعلم بهذا نابغة القرن الثامن عشر حتى أُولعت بجمع اخباره وآثاره فجمعتُها وانا محترق البوادي لئلا تضحي اثرًا بعد عين. ولمَّا رأيتُ السواد من القوم يتوق الى الوقوف على سيرتهِ اللطيفة حرَّكني عندئذٍ حبُّ الوطن العزيز واعلاء منار الفضل الى تحقيق امنيَّتهم فصرفت الهمَّة القاصرة الى تسطير ما جمعتهُ من ترجمة حالهِ على قلَّة ابتذالها (١ وقد بلغ ما كتبتُ في هذا الرجل العظيم نحو ٢٥٠ صفحة انشرها ان شاء الله يومًا في كتاب مستقل وقد رأيت ان اتحف الآن قرَّاء المشرق بهذه الترجمة

١) اول من ترجم السيد جرمانوس فرحات فيما اعلم هو الشيخ رشيد الدحداح في احكام باب الاعراب. وعنهُ اخذ طابع كتاب فصل الخطاب في مطبعة طاميش. وعنهُ اخذ المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف. وعنهُ اخذ الشيخ سعيد الشرتوني في ديوان صاحب الترجمة وكلهم اخذوا عن ترجمة جمعها احد كهنة حلب اجابةً لطلب الشيخ رشيد الآنف الذكر والنسخة الاصلية وقعت اليَّ في هذه الايام الاخيرة بيد ان هذه الترجمات مختصرة لا تفي بالمراد

المختصرة (١ مجريًا فيها الاكتفاء بذكر المآثر المهمة والخدم الجمّة التي اتاها هذا الجهبذ الطائر الشهرة في جنب الدين والعلم والفضيلة والانسانية فاقول وعلى الله التكلان

١ الصبي

هو فيض المزنة الحلبية وفرع الارومة الطيّبة رحلة بلغاء عصره وقدوة فضلاء مدهره شهيد العلم والادب ومجد الدين المُنتَخَب الحبر البحر العلامة والامام الكبير الفهامة جبرائيل بن فرحات مطر بن شاهين المشروقي ابن رعد الحصروني الحلبي الماروني الشهير. ويُنمى نسبهُ الى الاسر المارونية الشهيرة كأسرة السماعنة واسرة عوّاد واسرة مسعد واسرة الشدياق ولله درّ الكاتب النحرير والشاعر المجيد بشارة افندي الشدياق الذي جمع هذه الفروع في تهنئة المثلَّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج بقولهِ (٢ :

بنوك من جذمك المشهور يجمعنا الـشدياق مسعد والعوّاد والمطرُ

وكان مولد هذا النابغة في محلَّة الصليبة (٣ من مدينة حلب الشهباء في العشرين من تشرين الآخر (٤ احد شهور عام ١٦٧٠ للميلاد فاستبشر بهِ والداهُ الفاضلان ايَّ استبشار ودعواه يومَ تنصيره (٥ باسم جبرائيل بشير مريم العذراء تيمّنًا وتبرّكًا كأنَّ الله تعالى اوحى اليهما ان هذا الصبيّ الصغير سوف يكون لهُ نذيرًا وبهِ بشيرًا يرشد شعبهُ الى مهيع اليمن والامن والسلامة

---

١) اعتمدت في هذه الترجمة على كتب عديدة اخصُّ منها بالذكر: اولًا بعض تآليف صاحب الترجمة. ثانيًا فهرست مؤلفاتهِ. ثالثًا بعض سجلات الاسقفية المارونية بحلب. رابعًا جامع الروايات في اخبار جبرائيل فرحات (انظر المشرق ٣ : ١٠٧٨). خامسًا تاريخ كاتبي مخطوط (راجع المشرق ٥ : ٧٨٧). سادسًا ثلاثة نسخ من تاريخ الرهبانية المارونية: الاولى خطية منفردة والثانية منشورة في تاريخ الموارنة للدويهي والثالثة مثبتة في مختصر تاريخ لبنان لانطونيوس المين طوربي (طالع المشرق ٤ : ٧٦٩)

٢) راجع ص ٥٩ من القلادة المسجدية

٣) كذا قال صاحب الترجمة في مادة (ص ل ب) من معجمهِ وكانت هذه المحلَّة قبل مئتي سنة تُدعى محلَّة الجُديدة بالتصغير على ما في بعض المخطوطات ومعاملات الحكومة السنية

٤) جاء في جامع الروايات ان مولد جبرائيل كان في الحادي عشر من الشهر السابق الذكر

٥) في الـ ٢٦ من شهر تشرين الثاني

ولقد استثمر هذان الوالدان التقيّان بالمنة العظيمة التي اتاحها الله لهما فعُنيا بتثقيفه اي عناية وقاما بتربيته احسن قيام كانا اعداه وديعة ائتمنهما الله عليها فارضعاه لبان التقى وافاويق العلم منذ نعومة اظفاره وجعلاه في السابعة من عمره سنة ١٦٧٧ في الكتّاب الماروني (١ فتعلم مبادئ اللغتين العربية والسريانية. وكان هذا الكتّاب اوانئذٍ شهيراً بتدريس هذه اللغة الاخيرة ونبغ فيه رجال كثيرون من الكتبة والعلماء الافاضل الذين لا يزال ذكرهم جاريا على ألسن الحلبيين حتى هذا العصر الحاضر

٢ التلميذ

رأى جبرائيل الفتى نهضة وطنه الادبيَّة وما صارت اليه فيه بضاعة الادب من الرواج وسوق العلم من الإنفاق وتسابق الشبان النبهاء الى تحصيلهما في اواخر ذلك العصر السابع عشر الزاهر. فتوفَّر في مقتبل الفتوة وأبان الرشاد على التخريج في فنون الآداب والمعارف فما اضلَّهُ الصواب فيما رآه ولا خانهُ الجدّ الصاعد فيما صار اليه من التحصيل حتّى اصبح من الطلبة النابغين المبرّزين

ففي الثانية عشرة من سنّه سنة ١٦٨٢ درس مبادئ اللغتين الايطالية واللاتينية (٢ على الفيلسوف العلامة الخوري بطرس التولوي الشهير

وفي الرابعة عشرة من سنّه سنة ١٦٨٤ اشتغل في صرف اللغة العربية ونحوها على امام علماء حلب المسلمين الشيخ سليمان المعروف بالنحوي الشهير (٣ فاصاب بين اترابه السهم الفائز

وفي السادسة عشرة سنة ١٦٨٦ اقبل على تحصيل علوم العرب كالمعاني والبيان والبديع والجناس والعروض على الشيخ يعقوب بن نعمة الله بن ابي الغيث الدبسي الطرابلسي الحلبي الماروني المشهور

وفي الثامنة عشرة سنة ١٦٨٨ تعلم صرف اللغات السريانية والايطالية

---

١) سترى كلاماً وافياً عن هذا الكتّاب في نبذة اخرى

٢) لم ارَ من ذكر ان صاحب الترجمة كان عارفاً باللاتينية ولكن الآثار الباقية تنبئ بذلك صريحاً

٣) في وهم البعض ان ابن فرحات اشتغل ايضاً في علم المعاني والبيان والبديع والعروض على الشيخ سليمان الآنف الذكر والصحيح ما نقلهُ في المتن عن اصدق الرواة الاثبات

واللاتينية ونحوها ففاز بتحصيلها ورسخت قدمه اكثر ما يكون في اللغة الاولى

وفي التاسعة عشرة (١٦٨٩) اكبَّ على التبحُّر بالعلوم العاليـة كالمنطق والفلسفة والخطابة والطبيعيَّات والتاريخ الخاصّ والعـام واللاهوت الادبي والنظري فنبغ في جميعها

ومما يجب ان لا يُذهل عنهُ هو ان جبرائيل الفتى لم يكن لهُ ولَع ولا لذَّة الَّا في المطالعة والتحصيل في حلقات التخريج لانهُ كان يرى العلم كالحق والجهل كالاثم على حدّ قوله :

العلمُ كالحقّ موجودٌ من ازلٍ والجهل كالاثم موصوفين بالعدمِ
من يعدم العلمَ يُظلم عقلُهُ ابدًا حتى تراهُ شبيه الحال بالنّعمِ
كم من نفوس غدت له مخاصمةً بالعلم في صفحة القرطاس والقلم

فلا عجب بعد هذا ان نبغ بالعلوم وبرز في الآداب ونال شهرةً لم ينلها غيرهُ من معاصريهِ الافاضل حتى اصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان

وكان استاذهُ التولوي شديد العجب بما آتى الله تلميـذهُ من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة وكان يقول مرارًا ان جبرائيـل سوف يكون من افراد العلماء المبرّزين في المشرق

واما استاذهُ الدبسي فكان يندهش ممَّا عند تلميـذهِ من قوة الحافظة العجيبة حتى انهُ كان يقول ان في ذاكرة جبرائيل نسخةً مشروحة لحوادث التوراة وايَّام العرب ووقائعهم وانسابهم وامثالهم واشعارهم وكتابًا جامعًا واضحًا لاخبـار الامم والممالك واقاصيص الآباء القديسين وجميع ما يتعلَّق ببيعة الله الجامعة من حدوث بدَع واجتماع مجامع الى غير ذلك من الشؤون الحريَّة بالحفظ والاستظهار

واما استاذهُ الآخر الشيخ سابان فكان قوي الاندهال ممَّا كان عليه تلميذه من الادب والحذق والذكاء والرجاحة حتى انهُ كان يلقّبهُ بالعريف (اي كبير المكتب ورئيس الطلبة) ويجلسهُ الى جانبهِ اعجابًا واجلالًا. وفي ذات يوم سئـل الشيخ: من انجب تلاميذك ؟ فقال: العلم خليَّةُ عسلٍ فكلٌّ من تلامذتي اشتار منها شيئًا وامَّا تلميذي جبرائيل فاشتار ما فيها جميعهُ. هذا ما روى الرواة الثقات والله عليه وكيل

٣ الشاب

يعلم الخبير كيف يكون الشاب في شرخ الشباب هدفًا لسهام الاميال الدنيوية التي تصرفهُ عن جهة الصواب بزخارفها حتى تبعدهُ عن الصراط القويم فيسير في مهامه الشهوات الموبقة حتى اذا شاء التملص من شباكها على رغم الموانع التي تحول دون امنيته يعلم بضرورة الوسائط الخاصة الخارجة عن محور الوسائل التي يفوز بها من الديانة عفوًا

واما جبرائيل الشاب فاحتاط لنفسهِ من الطارئ المفاجئ في ابان الشباب فمال الى الفضيلة منذ نعومة اظفارهِ واوسع لها من صدره محلاً رحيبًا فاحتلّتهُ وتمكّنت منهُ وباحت لهُ بمكنون صدرها وفتحت لهُ ابواب خزائنها حتى استفد ما فيها ووضعهُ الى صدرهِ الرحيب فاصبحت نفسهُ كمرآة وضيّة تنعكس عنها اشعّة الفضائل الالهية والادبية لا يشغلهُ عنها انكبابهُ على تحصيل العلوم العديدة ولا اشتغالهُ بالكتابة عند احد تجّار الفرنجة ولا اعانتهُ لابيه فرحات بالمهام البيتية والمصالح التجارية المتنوعة فاضحى الخلق معجبين بفضائله كما كانوا معجبين بعلومه وآدابهِ التي قصّر عن لحاقهِ بها رجال عصرهِ المشاهير في حين ان صاحب الترجمة لم يكن يعجب بالمال والعلم اعجابهُ بالورع والتقى كما يدلُّك على ذلك قولهُ :

رأيت العلمَ في الدنيا سعيدًا وغيري نال دون غنًى شقيُّ
كلانا مخطئٌ فيما تراهُ واصدقُنا به رجلٌ تقيُّ
ترينا الشمس في الآفاق نورًا ويحجبهُ غمامٌ فاختفيُّ

فلمّا ان بلغ جبرائيل السنة العشرين من عمرهِ سنة ١٦٩٠ وهي اول الشباب ومقتبل العمر بدأ ان يستحقر الدنيا وزهوها وصفوها وغناها وعكف على الزهد والقنوت والتورّع ومطالعة الكتب الدينية فاخذ ينمو يومًا بعد يوم بالمحامد والفضائل حتى تحدّث القوم بلطائف اخبارهِ الشائقة وتناقلوا انباء آثارهِ التقويّة الرائقة فلم يزل شأنهُ عندهم في ارتفاع وقلوبهم عليهِ في اجتماع الى ان نال احدوثةً طيبةً في تقواهُ الفريدة. وعلومهُ الواسعة لا يزال صداها يرنّ في اذان البشر حتى العصر الحاضر

ومن آثار شبابهِ التقويّة انهُ كان يبادر كل يوم الى بيت الرب القدسي فيقضي فيهِ شطرًا من النهار امّا مستغرقًا بالصلاة في الاخويّات التقوية والعبادات الدينية وامّا

قائم بجانب هيكل العلي يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الطرائق (الرتب) البيعية بإخبات عجيب وخشوع فريد يندهش لهُ الحاضرون على اختلاف طرائقهم ومشاربهم. وهذه العادة الحميدة ما برحت مطروقة في الشهباء على مثالهِ الى هذه الايام

وكان الله عزَّ وجلَّ يجتذب قلب الشاب الى اقتفاء آثار خطواتهِ ويسمعهُ صوتهُ العذب لاجل خدمتهِ في مصاف عبادهِ ويدعوهُ الى اتباع المشورات الانجيلية الجليلة فاجاب في الثالثة والعشرين من سنيهِ سنة ١٦٩٣ الى الدعوة الالهية مسرورًا ورغب عن العاجلة الآجلة بكل ارتياح وهجر كل دنيوي اي الاهل والصحب والوطن والمال وخفض العيش وكل فخر زائل وآثر ان ينهج نهج الرهبانية توصلًا الى الكمال المسيحي السامي فكاشف بذلك عصابة من صالحي الشبان الذين كانوا يرجعون اليهِ في شؤونهم ويصدرون عن رأيهِ في امورهم فوافقهُ على ما نوى خمسة عشر شابًا انتشر يوم ذاك فضل بعضهم واشتهر في آفاق البلاد السورية

فانشرح صدر جبرائيل في توفيق مسعاه فانشد على البديهة اول اشعارهِ في نعمة التوفيق وهو بيتاه الشائق:

ما كلُّ من يهوى الصلاح موفَّقٌ ... ما كلُّ من يُعطى الولاءَ مقلَّدُ
ما كلُّ من نهج الطريقة منجحٌ ... ما كلُّ من يبغي المعارف مرشدُ
ما كلُّ من يروي العفاف مصدَّقٌ ... ما كلُّ من طلب الزهادة يزهدُ
ما كلُّ من شاء الصعود بسلَّم ال... ـمخبرات للملكوت يومًا يصعدُ
ان لم تلاحظهُ بذلك نعمة الـ... ـتوفيق من لدن الاله فيسعدُ

واما والداهُ الفاضلان فلم يحولا بينهُ وبين مشيئة داعيهِ القدوسة لعلمهما بان اعظم بركةٍ للعيال المسيحية ان يختار الله لهُ منها اولادًا ينقطعون لخدمتهِ تعالى ويزهدون في الدنيا وملاذّها

٦ الراهب

ما كادت الطريقة النسكية تنتشر في المشرق حتى اخذ النسَّاك يتبطّنون وهاد لبنان التي توفَّرت فيها اسباب الدعة والسكون اتباعًا للمشورات الانجيلية الجليلة وانقطاعًا الى الله تعالى عن جلَبة العالم المعمور فكان بعضهم يعيشون عيشةً عمومية فيجتمعون للصلاة والاشغال اليدوية والبعض الآخر يفضّلون العزلة التامة فيقضون الحياة منفردين في المغاور المنحوتة في الصخور الصمَّاء. ولا تزال بقاياهم العهيدة في

وادي قاديشا تطاول الاعوام والاجيال صابرةً على طوارق الايام وطوارق الليال

فلمّا شاء الله ان يجمع كلمة هؤلاء الرهبان والنسّاك الى جامعةٍ واحدة خار جبرائيل الشاب ان ينهض باعباء هذا العمل الخطير فكاشف به اترابهُ الصلحاء. فانقاد لدعوتهِ خمسة عشر شابًا اخلقهم بالذكر عبد الله بن ميخائيل (١ قرأألي (٢ وجبرائيل ابن توما (٣ الحوّاء. (٤ ويوسف ابن البتن فغادروا حلب الشهباء في غرّة شباط احد شهور عام ١٦٩٤ (٥ ميمّمين جبل لبنان المبارك عن طريق اورشليم حيث تيمّنوا بزيارة الاراضي المقدسة

ثم استأنفوا الترحال الى ان حطّوا عصاهُ في دير قنوبين مركز بطاركة الموارنة المغبوطين حيث مثلوا لدى فخر زمانهِ العلامة الطيّب الذكر البطريرك اسطفانس الدويهي الشهير فعرضوا لهُ ما في نيتهم فاذن لهم في استحداث الرهبانية (٦ واعطاهم

---

١) ويروى: عبد الاحد ابن قراعلي على ما في مختصر تاريخ لبنان وتاريخ الرهبانية المخطوط

٢) صار مطرانًا على مدينة بيروت (لا على مدينة قبرس كما زعم البعض) في ١٧ ايلول سنة ١٧١٦ وشهد المجمع اللبناني الملتئم سنة ١٧٣٦ وتوفي سنة ١٧٤٣ في قرية زوق مصبح

٣) لا جرمانوس بن توما حوّاء كما روى الشيخ رشيد الدحداح في ص ٢٢ من مقدمتهِ على باب الاعراب وتابعهُ عليهِ الشيخ سعيد الشرتوني في ص ٩ من مقدمتهِ على ديوان المطران. والاغرب ان القس الفاضل افرام الديراني بعد ان ذكر اسمهُ جبرائيل (في ص ٢٠٣ من كتاب البيئة الحنية) عاد فسماهُ جرمانوس (في حاشية ص ٢٠٥). والصحيح ما رويتهُ عن جمهور مؤرخي الرهبانية اللبنانية بالاجماع

٤) أُقيم مطرانًا على جزيرة قبرس (لا على بيروت كما وهم البعض) سنة ١٧٢٣ وقضى نحبهُ سنة ١٧٥٢

٥) يروى سنة ١٦٩٣ كذا ورد في ص ٢٦٧ من تاريخ الموارنة للدويهي و ص ٢٠٢ من كتاب البيئة الحنية ويروى سنة ١٦٩٥ كذا جاء في ص ١٠٠ من مشرق السنة السادسة *. والراجح ما رويتهُ في المتن عن جامع الروايات وتاريخ الرهبانية المفرد

٦) ان الرهبان الجدد قد اقاموا مدةً عند البطريرك في قنوبين وطافوا في اثنائها بلاد الجبّة وجبيل وكسروان على ما قال صاحب تاريخ الرهبانية

---

* هكذا رويتُ في ترجمة الطيّب الذكر نيقولاوس الصائغ وقد حملني على هذا الرأي انَّ في ديوان السيد جرمانوس فرحات المطبوع والمخطوط قصيدتين وهما الاولى من باب الهمزة والاولى من باب الحاء ورد في صدرهما انهُ قالهما في حلب سنة ١٦٩٥ وذلك دليل على ان ابن فرحات لم يخرج من الشهباء سنة ١٦٩٤ ما لم يُقل انَّ رفقتهُ سبقوهُ الى لبنان فتبعهم السنة التالية ١٦٩٥ ولعلهُ القول الصحيح ل. ش

دير القديسة مورا باهدن فاقاموا به واخذوا في انشاء رهبانيتهم تحت لواء القديس انطونيوس الملقب بالكبير وابي الرهبان (لهُ تابع)

الضمير او عين الله

عرَّبها بتصرف عن قصيدة للشاعر فكتور هوغو

الاخ الاديب بطرس ساره البترونى اللبناني احد تلامذة كليتنا

١ تائهٌ بين الصحارى كالهمَل يرتدي مع وُلدهِ جلدَ الحمَلْ

شعرهُ يكسوهُ لكن لم يزل شاعرًا بالقرِّ يضنيهِ الوجل

انَّ ذا قاينُ سفَّاك الدما

٢ رام من وجه العلي ان يهربا فعدا يطوي الفيافي مُغضَبا

وضياء الشمس حيًّا الثريا خيَّم الليل على تلك الرُبى

والشقي الوغد اضحى مُرغما

٣ وصل التائهُ وهو في تعَبْ نحو وادٍ واسعٍ يحوي الكرَبْ

شكتِ الاولاد والامُّ الوصَبْ وارادوا راحة بعد النصَبْ

رقدوا في ظل ذيَّاك الحمى

٤ امَّا قاينُ فهاجتهُ الفِكَرْ لم ينم بل قام يشكو من سهرْ

ورأى وجهَ السماوات اعتكرْ في الدجى عينٌ تشعُ كالقمرْ

حدقت فيهِ فأمسى في عمى

وفي ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ البسهم البطريرك الزيَّ الرهباني وسلم اليهم دير مرت مورا القريب من اهدن في جبة بشراي (اه عن ص٤٠ من تاريخ الرهبانية وص ٢٥٦ من تاريخ الموارنة للدويهي)

وامَّا صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية فيقول في (ص ١٧٧): ان البطريرك البسهم الاسكيم بعد خروجهم من حلب بثمانية اشهر والصواب باثنين وعشرين شهرًا كما يظهر بكل وضوح من تاريخ الرهبانية ومختصر تاريخ لبنان

٥ قال في رُعب: «اراني في الجوار ما لهذي العين ترميني بنار
دنت الساعة هيّا للفرار» أيقظ النيّام هجراً للديار
وطوى البيد لهيفاً مُغرَما

٦ ضرب الارض حثيثاً في المسيرْ راغباً ألّا يرى وجهَ القديرْ
قلبهُ ينهشهُ دود الضميرْ لا معزّ لا مجيرٌ لا نصيرْ
أحرِ بالقاتل ان لا يُرحما

٧ سار أيامًا طوالا في اكتئاب وهو مذعور فلا يبدي جواب
من نسيم الصبح يمسي في اضطراب قلبهُ ينتابهُ مرّ العذاب
وتراهُ سائرًا لن يُحجما

٨ قادهُ تسيارهُ نحو كثيب عند شاطي البحر والقلب كئيب
قال: «فلنمكث هنا امن رقيب هذا حدّ الارض يكفينا نجوب
فلنُقم بالأمن في هذا الحمى»

٩ ولدُنْ قام بآتيك الربوع ابصر العين وقد شاء الرجوع
صار مرعوبًا وأمسى في خشوع في سكون الليل يضنيهِ الهجوع
قلبهُ يرجف من ذكر الدما

١٠ صاح: «ويلاهُ استروني من غضب هذه العين فلا اخشى العَطَب»
وبنوهُ قد رأوا الجدَّ اضطرب فغدوا يقضون من ذاك العجب
وينادي بعضهم بعضًا: لِما؟...

١١ فاستعان بابنهِ يابلَ مَنْ قد غدا أبًا لمن رام السكنْ
في قلوب البيد يُغذون اللبَنْ ضمن بيت الشعر قاموا بالأمن
ضيفهم ما زال يُلقى مُكرما

١٢ قال: «بالله أردأوا عني سهام هذه العين لأُضحي في سلام»
سدلوا من دونهِ بين الخيام حاجزًا يخفق في قلب الظلام
جعلوهُ ثابتًا مستحكما

١٣ بنتهُ سِلاً أتت عند السحَرْ ومحيّاها مضيءٌ كالقمرْ
ثم نادت: «جدِّ هل تشكو سهرْ بعدُ هل تنظرُ للعين أثرْ؟»
قال: «ما زالت تريشُ الاسهما»

١٤ بعد ذا توبلُ وافاهم يقولْ وبنوهُ في القرى دقّوا الطبولْ
«قد اقمتُ حاجزاً بين الطلولْ بل جداراً من نحاسٍ لا يزولْ»
بات قاينُ حذاهُ مؤلَما

١٥ صاح: «هاكَ العين ما زالت ترى خرقت حتى النحاسَ الاصفرا
هاكما تنظرُ نحوي شـذرا وا مصابي! من يعزّيني تُرى
لم ازلْ ألقى شقيّاً مُعدما»

١٦ قال اخنوخُ: «علينا بالقصورْ نجعل الابراج سوراً يَتلو سورْ
فلنشيّد بلدةً من ذي الصخورْ ولنُقِم حصناً فلا يدنو جسورْ
فيه يَلقى الجدُّ عيشاً أنعما»

١٧ عندها توبلُ قاينُ اشادْ بلدةً فيحاء قد ساوت بلادْ
رفعت جدرانها مثل العمادْ في مبانيها لقد تاه العبادْ
عانقت فيها القصورُ الانجما

١٨ بينما توبَلُ يبني في الديارْ كان اخوانهُ يحمون الجوارْ
يُطفئون نورَ عيني كلِّ مارْ ولدُنْ ودّعتِ الشمسُ النهارْ
صوّبوا نحو النجوم الاسهما

١٩ وُلد شيتٍ وأنوش طاردوا عوض الخيمة قام الجلمدُ
قصوراً وحصوناً شيّدوا وبناءٍ بجديدٍ وطّدوا
وحكت تلك الرّبى جهنّما

٢٠ والحصون نشّرت فوق السهولْ ظلّها فامتدّ ما بين الطلولْ
شاهت جدرانها عرضاً وطولْ راسياتٍ من جبالٍ لا تزولْ
رأسها ينطح اكبادَ السما

٢١ وعلى الباب ترى هذا الشعارْ: «لا دخولٌ للعلي في ذي الديارْ»
بعد ان انهوا فنون الاختبارْ وُضعَ الجدُّ بحرصٍ ووقارْ
ضمن حصن شاهقٍ كي يسلما

٢٢ قام قاين بوجهٍ مرعبِ وأتت سلاً فنادت: «يا ابي
هل توارت عنك عين الغضبِ؟ قال: «لا ما برحت تحدق بي
قد تجرعتُ لذاك العلقما»

٢٣ قال: «تحت الارض قد طاب السكنْ
فيه ألقى ناعم البال كمنْ
رام ان ينجوَ من شرّ المحنْ طلب الوحدة كي يلقى الامنْ
عل قلب الارض يخفي المجرما»

٢٤ حفروا قبرًا أتى طبق المرامْ أنزلوا قاين فيها باهتمامْ
قعدا كرسيُّهُ ضمن الظلامْ واذا بالعين قد راشت سهامْ
طعنتْ في الرمس سفّاك الدما

الخزاعل والهيازعة او خُزاعة الحاليّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (تابع)

٧ ذكر بعض وقائع من تاريخ الهيازعة والخزاعل الحديث

واخبار هؤلاء الخزاعل كاخبار اجدادهم لا تختلف عنها بشيء، وآخر ما بلغ اليَّ من امر الهيازعة هو ما وقع لهم مع مجاوريهم من الاعراب في هذه الايام الاخيرة التي طويتُها بين ظهرانيهم في هذه السنة واليك تحرير الواقعة:

في ربيع سنة ٩٠٠ ذهب واحدٌ من ألبو هيازع ليحوف (١) مع اثنين من

(١) اي ليسرق من حاف يحوف والسارق بلسانهم «الحوّاف» ولعلّ اللفظة ماخوذة من معنى تحوّف الشيء اي اخذ حافته لان الحوف في الاصل كان يطلق على السرقة الزهيدة الطفيفة ثم توسعوا بمعناها وارادوا بها مجرّد السرقة

رفاقه من اعراب الدُلَيم (وهم أعراب الدَيلَم) في ديار الدُلَيم. بل ودفعت القحة هؤلاء الثلاثة الى ان يكونوا من المقاليص (١. فقطعوا الطرق وسلبوا السابلة وعاثوا في البلاد كلَّ عَيث وبالخصوص نهبوا قافلة كان مع اصحابها اموال طائلة جزيلة وأثمار وفواكه كثيرة وافرة كانوا ينقلونها من قرية الى قرية أخرى. وكان بين اصحاب القفل رجلٌ أبيّ النفس أَبَى ان يُسلَب ويُنهب فدافع عن نفسهِ دفاع الكريم الـذي يجود بنفسه عند الملمّات. ومن بعد أن ضرب ضربًا مبرّحًا تنخّى بعشيرته (٢ بقوله: « أَلْعَبد لا تُقطعُتم » (اي يا آل عُبَيد لا تُقطِعتُم او تُحيتُم من على وجه الارض) فحينما قال ذلك عُرف انهُ من مُحالفي أَلبُو هيازع. لأن آل عُبَيد اسم عام يَشمُل بطونًا عديدة وقبائل شتى. فقال حينئذٍ الهيازعي رفيق الدُلَيميَّين: « هذا من عشيرتي فلا تسلبوهُ لاني اخاف على اسمي وعرضي وشرفي فانقطِعُوا عن سلبهِ وسلب اصحابهِ وعن ضربهم واذيّتهم. وما قال هذا الكلام حتى كفّ المقاليص عن عملهم هـذا القبيح. واخذ الهيازعي يُعيد على اهل القافلة امتعتهم وعروضهم واموالهم واثمارهم. امّا الدُلَيميَّان فما أظهرا ابادي بدو علامة استياءِ الى الخارج إلّا انهما كانا يُحرِقان

(١) المقاليص جمع مقلاص وهو في الاصل اسم علم لرجل مشهور بالرقة ثم نُكّر اللفظ وأُطلق على كل سارق من باب التبديل. واصل هذه الكلمة ورد في معجم البلدان لياقوت (١: ٦٨٢) في حكاية جرت للخليفة ابي جعفر المنصور مؤسس بغداد

اما اليوم فيسمّي عامّة اهل بلادنا المِقلاص « بالمِقلاج او المِنلاج او المِقلاجيّ او المِنلاجي » ويقولون في جمع الأوّل مقاليج وفي جمع الثاني منلاجيّة. وقلب الصاد جيمًا مثلهُ فارسية وبالعكس اي قلب الجيم الشة الفارسية صادا امرٌ مشهور قديم. فقد قالوا: صاروج في چاروِ. وصوبج في چوبه. وصنار في چنار. وصكّ في چك. ومنهُ الجكّ بالفرنسية chèque فهي من الالفاظ التجارية الافرنجية المأخوذة عن العَرَب. وعرب العراق يلفظون المعرّبات بحروفها الاصلية فيقولون چارُو وچوبك وچنار وچك. ومن الالفاظ التجارية التي اخذها الافرنج من العرب التعريف tarif والطَرح tare الى غير ذلك. ولفظة المقلاجي ذكرها المستشرق كليمان هوار Clément Huart في المجلة الاسيوية (J. A. 1878, I p. ٤٤٥) وفسّرها باللصّ وقطّاع الطرق ولم يذكر اصلها

(٢) تنخّى باحد او انتخى به من لغة اعراب البادية ومعناها: حرّك النخوة والحماسة في من يذكر اسمهُ

الأرم لرؤيتهما الهيازعي يعيد كلّ ما كانا قد سلباه. ولمّا لم يستطيعا ان يتمالكا اكثر من هذا قالا لصاحبهما: « وكيف تعيد على هؤلاء الرجال كل هذه الاموال النفيسة وقد غرّرنا بنفوسنا » . قال الهيازعي: « أُخيّركما بين اثنين: امّا ان تقتلاني وامّا ان تردّا هذه الاموال الى اصحابها » فاختارا اعادتها. وبعد ذلك اخذ الثلاثة يعودون الى ديار الدُلَيم. وبينما كانوا سائرين في الطريق شاتمَ الدُلَيميّان الهيازعيَ وسابّاه. فكال هذا لهما بكيلهما. وما كان الّا كوميض البرق واذا باحد الدليميّين هجم على الهيازعي هجوم النَبِر الهندي وافرغ سلاحهُ الناريَ في أحشائهِ فانبعج بطنهُ وسقط يختبط بدمهِ العبيط وكان اسم المقتول « شيحان »

ثم اخذ الدليميان بارودة الصريع ورجعا الى عشيرتهما. وكان في رُبوعها رهط من الهيازعة من اهل شيحان المذعوف يقضون بضعة ايام بمنزلة ضيوف. فلما سمعوا بقدوم القلاّصين ولم يجئ معهما شيحان المذكور بعثوا يقولون لهما: لقد ذهب معكما واحدٌ منّا قبل شهرين والى اليوم لم يأتِنا فهل تعرفان شيئاً من امرهِ وما حلّ بهِ من القضاء ». وما زالوا يتقصّون في المسئلة حتى عرفوا كُنه الحقيقة اما كيفية بلوغهم اليها فكانت على الوجه الآتي وهو: ان القاتلين حكيا لعشيرتهما ما جرى لهما عند سلب القافلة وما عقب ذلك من المنازعة والمشاجرة وكيف انتهى الأمر بقتل الهيازعي. وكان بين الجلاّس السامعين دُلَيمي صديق عزيز لشيحان المقتال فذهب خفيةَ الى اقارب الهالك واخبرهم بالواقعة على حدِ ما جرت وقال لهم: « . . . . وبارودتهُ ترى اليوم في بيت القاتلَين ». فذهب اهل المقتول وأطلعوا ابنَ حردان شيخ الدُلَيم على القضية كلها بحذافيرها. وقالوا لهُ: « اخترْ لقبيلتك احد الامرَين: امّا المحاربة وامّا الدية. وهذه الدية تدفعونها بكمية المال المتّفق على ادائها في عشيرتنا ». (لان الدية عند الأعراب تختلف باختلاف العشائر)

فانكر شيخ الدليم واصحابهُ هذه الحكاية من عين اصلها وقالوا: « ليس لهذه الفاجعة حقيقة ». فقالت الهيازعة: « اكبسوا البيت الفلاني تروْا فيه تفكَة (اي بندقية) المقتال ». قالت الدليم: « حبّاً وكرامةً » فامر شيخ الدليم بجمع طائفة من البواريد من طرز بارودة المقتول. وضمّ تلك البندقية اليها وبان يحضروها على تلك الحالة. ففعل الدُليم بما قال لهم شيخهم. ثم قالوا للهيازعة: « هلمّوا الآن وافرزوا بارودة

المقتول من بين هذه البَواريد واروها اياها . فان انتم وجدتموها وعرفتموهـا أقررنا لكم بالفاجعة صاغرين وان لم تقع » . فتقدم واحدٌ من عشيرة المقتول ممن كان يعرف بارودته وقال للدُليم : « ليأتينَّ معي واحد منكم لأُطلعهُ على البارودة المحكي عنها » . فصحبهُ واحد منهم الى مجموعة البواريد وقال : « هذه هي تفنكة (بارودة) المقتول » وكانت كذلك . فاصرَّت الدُلَيم على الانكار فقام العارفُ (١ وصوَّت (٢ قائلاً : « يا ايها الناس اهل هذا المجلس وكل من يسمع صوتي من بعيد وقريب أحلفكم بكل عزيز لكم وبكـل من تحبُّونهُ ان تقولوا الحقَّ في ما تعرفون » . وعنـدهم ان من يسمع الصائت ويعرف الحقيقة لا يمكنهُ ان يكتمها بعد سماعهِ الكلام وان لا يكذب البتَّة . فاقرَّ الدُلَيم بالاثم الفظيع . ثم قال الذي وجد البارودة : « قد تحققتم الآن قتل واحد منَّا فعليكم السلام » . قال هذا وذهب مع اصحابه الى عشيرتهِ البوهيازع

ومن العادة الجارية عند الأعراب ان الدية لا تؤدَّى حالاً بل تُنتظر مـدة من الزمان معيَّنة عندهم لتُجمع في مطاويها الدراهم . ومن عادتهم ايضاً : اذا لم تؤدَّ الدية وهي عبـارة عن ١٥٠٠٠ قرش صاغ عند الهيازعة تلوا واحداً بها كان من عشيرة القاتل بدون ان يكون حق لهذه العشيرة ان تثأرهُ فمضت ثلاث سنوات على هـذه الحال ولم ينقد المبلغ المذكور . ومن عادتهم المألوفة في مثل هذه الظُروف انهُ طالما لم يعقل القتلةُ القتيل يجوز لعشيرة المقتول السلب والنهب جهاراً تنبيهاً اياهم عـلى اداء الدية المعينة . وكلما يسرق في تلك الأثناء لا يُحسب على مبلغ الدية بل يُعَدّ بمنزلة الفائدة لهُ وان كانت تلك المسروقات عديدة او نفيسة بل وان اربت على مبلغ الدية

فكان الهيازعة اذن يذهبون كل اسبوع الى عشيرة القاتل فينهبون ويسلبون وليس من معارض يعارضهم بل ويتعامون ويتصامون ولا يريدون ان ينتبهوا . فلما رأى الهيازعة هذه الحال وفهموا المآل هجم جماعة منهم واخذوا من الدُليم في اسبوع واحـد ٥٠٠

---

١) وهو عندهم بمنزلة الحكم الشرعي . ووجودهُ عند العرب والاعراب قديم وقد اشتهر عندهم جماعة دوَّن التاريخ اساءهم فمنهم : قيس بن خالد الشيباني . وعمرو بن حممة الدَوْسيّ . وعامر بن الظرب . الخ

٢) « التصويت » عند الاعراب ان يقوم العارف او غيرهُ ويقول بأعلى صوتهِ كلاماً ينيرهُ بموجب ظروف الزمان او الوقائع او الاشخاص الخ

راس غنم فاعطوا منها ٧٠ راساً الى ابراهيم بن عليّ السعدون شيخ آل عُبَيد (وهم اعراب الحويقة او الحويجة وهي اراض واقعة قُبَيل كركوك للذاهب اليها من بغداد) واما البقية فاقتسمها الهيازعة بينهم. ثمّ اغاروا عليهم ثانية واخذوا منهم ٤٠٠ راس غنم اخرى واقتسموها بينهم بدون مشارك

وانت تعلم ان كل هذا ليس داخلاً بالحساب ولو تدوم هذه الحال عشر سنوات طالما تبقى الدعوى معلّقة غير مفصولة فصلاً باتاً رسمياً وعلناً اي على رؤوس خلق من القبيلتين المتعاديتين. ولذلك هجم الهيازعة على الدليم ثالثةً وكان عدد المغيرين ستة عشر خيّالاً واخذوا ٨٠٠ راس غنم. وما ساقوها امامهم إلّا باغتهم الدُليم فالتحم القتال وانجلى عن ستة عشر قتيلاً من فرسان الدُليم ومائة من الذين سلبت منهم الغنم. واما الهيازعة فقتل منهم اثنان فقط الّا ان الاولين استرجعوا مالهم من الغُزاة. ثم جمعوا شوكاً واحرقوا عليه جُثّتي الهيازعيّين

واعلم ان حادثة الإحراق اهانة عظيمة بحق قبيلة المحرقَين لا يُعوّض عنها اموال القبيلة كلها بل هو علامة العداء الابدي بين القبيلتين. وبعد هذه الملحمة رجع كل قوم الى اصحابه. ثم حمل الهيازعة حملةً راسةً على الدُليم وكان عددهم ١٨٠ فارساً. وكلهم مُسلَّحون « بالمَاطَلي » (١ ولمّا وصلوا قريباً من خيم الدُليم جرّدوا من جماعتهم سَبْراً (٢ فجاء وقال لأصحابه: قد ذهبت الرجال لتشتري طعاماً وليس في المضارب إلّا الرجال العجزة والشيوخ والنساء والأطفال. هذا وانت تعلم ان الأعراب اذا ذهبت الى القرى لمثل هذه الغاية يقضون اياماً عديدة للحصول على مطلوبهم

وفي تلك الاثناء كان قد تخاصم شيخ شمّر في نواحي الجزيرة واسمه العاصي بن فرحان باشا مع اخوانه وبعث يقول للدُليم: « انا دخيلكم (٣ فخلصوني من اخوتي » فهرع لاستقباله جماعة عظيمة من بطن من بطون الدُليم وجاؤوا جميعاً عند المساء ونزلوا في خيم الدُليم التي غاب اصحابها صباحاً طلباً للطعام. فلما كان الغد وكان الهيازعة قد تهيأوا للسلب والغزو رأوا اولئك الاضياف وكانت دوابّهم سارحة فاخذوا السائمة -

---

١) اسم بارودة مرتّبي عند اعراب العراق والجزيرة والشاميّة

٢) السَّبْر عندهم الرائد والقنّاص

٣) الدخيل عندهم اللائذ بحِمَى الآخر ومن دخل في قوم وانتسب اليهم

وذهبوا بها. فلمّا احسّ بالامر الضيف والمضيف تأثّروا الناهبين ولمّا قربوا منهم استتروا وراء الاكمة ثم تقدّم واحدٌ منهم وكان داهية دهياء في النكر وقال لهم: « امكثوا هنا حتى آتيكم » فذهب متنكرًا حتى اتى رجلًا من الهيازعة فسلّم عليه واستسقاهُ فسقاه وانتسب لهُ عُبَيديًا (والعُبَيد اسم يُطلَق على جميع بطون الهيازعة وغيرهم فسألهُ عن عشيرتهِ واين مرعى سائمتهم واخبرهُ انهُ جاء ليزور اصحابهُ ويطلب قراهم. فاجابهُ الهيازعيّ على كل سؤالٍ سألهُ اياهُ. ثم عاد الى قومهِ وقد عرف بغيتهُ. فاندفع الدُليم وراء الهيازعة اندفاع السيل الجحّاف. والتحم الجحاف. الى ثلاث ساعات بعد الظهر وارتجعوا اموالهم. وقُتل من الدُليم اربعة ذبحهم الهيازعة بسيوفهم واخذوا أسلحتهم وجيادهم ورجعوا بها الى قومهم (١

فلما سمع ابرهيم بن عُمر بن علي السَعْدُون شيخ آل عُبَيد بهذا الخبر. وبَّخ الهيازعة على قلة عددهم وتهوّرهم في مثل هذه الواقعة. فامر الشيخُ ابنهُ عُمر أن يركب في أربعة آلاف فارس مُسلَّح بالماطلي ليهجم على الدُليم هجوم القَشْعَم. واليوم قد ثارت ثائرة الحرب بين القبيلتين. والحكومة ساعية كل السعي في اصلاح ذات البَين

واماً ما وقع للهَيازعة في العصور المتوسطة فلم اعثر على شيء من هذا القبيل في كتابٍ من الكُتُب بل ولم اعثر على شيء من الأحداث في هذهِ القُرُون الاخيرة وهو من الغرابة بمكانٍ عزيز

وان سألتني عن اخبار الخزاعل فأقول لك بكل صدقٍ اني لم أواجه بعدُ احدًا من

---

١) ما اشبه هذه الواقعة بما اتفق لنبر خزاعة في سابق الزمان فكأنَّهم قرأوا عن اجدادهم الاعراب اخبار مماركهم فحذَوْا حذوَ النَّعْل بالنَّعْل. فقد روى الاصبهانيُّ في الاغاني (٩: ٧) قال: اخبرني هاشم بن محمَّد عن دماذ عن ابي عبيدة انهُ غزا في قومهِ « بني خُزاعة » من بني جُشَم فاغاروا على ابل لبني كعب ابن ابي بكر بن كلاب فانطلقوا بها وخرج بنو ابي بكر بن كلاب في طلبها حتى اذا دَنَوْا منها قال عمرو بن سفيان الكلابيّ وكان حازمًا عاقلًا: « امكثوا » ومضى هو متنكرًا حتى اتى رجلًا من بني خُزاعة فسلَّم عليهِ واستسقاه فسقاهُ وانتسب لهُ هلاليًا. فسألهُ عن قومهِ واين مرعى ابلهم. واعلمهُ انهُ جاء رائدًا لقومهِ يريد مجاورتهم فخبرهُ الرجل بكل ما اراد ورجع الى قومه وقد عرف بغيتهُ فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس ابن الصمَّة وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا أموالهم. اه

هذا البطن إلّا اني تصفّحت بعض الكتب فوقعتُ على ما يأتي: قال كليمان هوار في « تاريخ بغداد في الازمنة المتأخرة » (ص ١٥٤) ما معرّبهُ: « التزم علي باشا ان يغادر المدينة (اي مدينة بغداد وذلك سنة ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م) ثمّ ما كذّب ان عاد اليها بمساعدة اهل البادية واشتراك وجهاء الرجال الادبي وكانوا من المتعلقين به. ثم عارك الأكراد فاستظهر عليهم. ثم ناجز الخزاعل الروافض في نواحي لملوم فكسروه ». وقال عنهم في (ص١٥٥): « وفي السنة الاولى من حكمه (اي حكم عُمر باشا وهذه السنة الاولى هي سنة ١١٧٨ المذكورة) زحف زحفةً سعيدة الطالع على الخزاعل وأحرق لملوم الا انهُ التزم بابقاء نفس ذلك الشيخ رئيساً لتلك القبيلة المِنْوار ». — قلت: ومن العجب ان المؤلف المذكور لم يتصدَّ بعد ذلك لذكر الخزاعل مع انهم حاربوا ولاة بغداد مرارًا عديدة

فقد قرأت في « مطالع السعود باخبار الوالي داود » وهو كتاب في تاريخ بغداد في عهد داود باشا ركيك العبارة العربية (ص ٤) ما يكاد يكون بحرفهِ الاصلي: حاصر الوزير سليمان باشا الحسكة (هكذا ضبطها هنا ثم ضبطها في محل آخر الحَسَكة اي بفتح الحاء عوضًا من كسرها) من ارض الخزاعل (وفي بعض الاماكن يُعبّر [اي المؤلفُ الاصلي] عنها بخزاعة والكل واحد) ثالث مرة وذلك سنة ١١٩٩ هـ = ١٧٨٤ م)

وذكر (في الص ١٧) ما حرفهُ: « لما تمت للوزير (عثمان باشا ابن محمود باشا) كامل العساكر والآلات الحربية توجّه اولاً على قبيلة خزاعة وسقاها كاس الردَى وطحنها وفرّق شملها بسبب ان اكثرهم وشيخهم مع العصاة » (وذلك سنة ١٢٠١ هـ = ١٧٨٦ م)

وقال (في الص ٢٧): « ثم دخلت سنة ١٢١٥ (هـ = ١٨٠٠م) وفيها تمرّد آلُ سليمان فخذ من خزاعة وعصوا على الوالي فامر الكتخدا ان يخرج اليهم بعسكر فخرج. ولمّا وصل اليهم تحصنوا في قلعتهم فرمى عليهم بالأطواب (بالمدافع) ففرّوا منها الى الأهوار (وهي بطائح الفرات) وكانت الاهوار مَعقل العصاة. فما زال العسكر في آثارهم حتى اخرجوهم من أهوارهم وغنموا من اموالهم شيئًا كثيرًا وارسلوها الى الوزير. فلما ضاقت بهم الارض بما رحُبت سالوا الوزير العَفْوَ عن ما مضَى واعترف كلُّ

بذنبه وادوا المطلوبات المنكسرة عليهم ورجعوا الى أوطانهم»

واخبر (في الص ٤٥) الخبر الآتي: «ثمّ توجه الكتخدا داود (قلتُ: وهو الذي اشتهر بعد ذلك باسم داود باشا وزير بغداد) بعسكره الى ارض خزاعة. وفي اثناء الطريق عزل شيخ زُبَيد. واقام مقامهُ شفلَح بن شَلاَّل وألزمهم بمحافظة الطريق. ثم استدعى بآل وادي وبعد مجيئهم الى عسكره عاقبهم على مساوئهم القديمة وشنّ الغارة على اهاليهم وغنم مواشيهم وسار الى ان نزل بازاء الديوانيّة مقرّ العشيرة الخزاعية الروافض» (قلتُ: وكان ذلك سنة ١٢٢٩ هـ = ١٨١٣ م)

وجاء لهُ (في الص ٥١): «وبلغ الكتخدا (محمد بك) ان ابن هَدّال وعبدالله بن حُرَيس من عَنَزَة أقبلا مع قومها ليكتالوا فأمر شَيخَي خزاعة والبُجَيع ان يُغيرا على ابن هَدّال ومن معهُ. فاغاروا على ابن هَدّال فولّى الفرار. واما العسكر فنزلوا بالديوانية واشتغلوا بنصب الجسر وجاء شيخ خزاعة وعرّابهُ الى الكتخدا وعبروا جميعاً الى اليُوسفية الحائلة بين جُلَيحة وعَفك وبين عسكر الوزير. فحينئذٍ غزا الكتخدا وخزاعةُ جُلَيحَةَ وعَفكاً لخروجهم عن الطاعة. فبعض العصاة فرّوا هاربين الى الفيافي وبعضهم دخل قلعتهم وتحصّنوا فيها وتسمى «قلعةُ شُخَير» فحاصرها الكتخدا فلما هجم الليلُ ايقن العصاة انهُ متى طلع النهار يهدم القلعة عليهم بالأطواب ففرّوا بالليل مع عيالهم وتركوا اموالهم وذخائرهم فلما طلع الصبح وعلم الكتخدا بهروبهم دخل القلعة ونهبها ثم هَدَمها ومَحَا أثرها. وكتب الى الوزير داود باشا بجميع ما حصل وذلك بعدما سدّوا اليُوسُفيّة سدّاً محكماً وانتظم أمرُ تلك الناحية. ثم البس المشايخ الطائعين والتزموا باداء خمسين الف درهم وعين لاستيفائها منهم شيخ خُزاعة وجعل على السُّدّ بعضاً من عسكر عُقَيل النَّجدِيّين. وبعضاً من عسكر اللاوَند الاكراد. ورجع الى بغداد مؤيّداً وذلك بهمة الوزير داود باشا فالبسهُ الوزيرُ خلعةً من السُّمُّور». (قلتُ وكان ذلك سنة ١٢٣٤ هـ = ١٨١٨ م)

وقد ذكر صاحب كتاب مَطالع السُّعُود قبيلة الخزاعل في غير المواطن التي ألمعنا اليها إلاَّ اننا نكتفي بذكر ما تقدم خوفاً من إلقاء السأم في صُدُور القرّاء اذ لا يرون من إعادة اسم القبيلة سوى تكرار الحروب والمواقع بين ان يكونوا غالبين ومغلوبين وبين ان يكونوا مُخالفين للدولة ومُخالفين لها

٨ً ذكر أشهر بطون وأفخاذ خزاعة في القدم

أشهر بطون خزاعة ١ً « بنو المصطلق » والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء. قال ابن الكلبي: سُمّي لحسن صوته وكان أوّل من غنّى في خزاعة (عن التاج)

(٢ً) وكعب بن عمرو وهو أبو خزاعة (التاج في مستدرك مادة كعب) ومن هذا الحيّ: عمران ابن الحصين الصحابي. وسليمان ابن صرد امير التوّابين القائمين بثأر الحسين. ومالك بن الهيثم من نقباء بني العبّاس. (ابن خلدون)

(٣ً) وبنو عدي بن عمرو. ومنهم جويرية بنت الحارث زوج النبيّ » (عنهُ)

(٤ً) وبنو مكلّم الذئب: «وكان جدهم جاء الى النبي صلعم فحدّثهُ ان الذئب اخذ من غنمه شاةً فتبعهُ فلما غشيهُ بالسيف قال لهُ: «مالي ولك تمنعني رزق الله». قال: «فقلتُ: يا عجباً لذئب يتكلم». فقال: اعجب منهُ ان محمدًا نبي قد بُعث بين اظهركم وانتم لا تتبعونهُ. فبنوهُ يفخرون بتكلّم الذئب جدّهم فقال دعبل ابن علي يهجوهم:

غشمتم علينا بأنّ الذئب كلّمكم فقد لعمري ابوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليث المصور اذا أفنيتم الناس مأكولاً ومشروبا
هذا السنيديّ لا اصل ولا طرف يكلّم الفيل تصعيدًا وتصويبًا»

(عن الاغاني ١٨: ٣٧)

(٥ً) وبنو مليح بن عمرو ومنهم طلحة الطلحات. وكثير عزّة الشاعر المشهور. (ابن خلدون)

(٦ً) بنو عوف بن عمرو ومنهم بعض العباد أهل الحيرة. وليس كل العباد من بني عوف اي من خزاعة كما توهمهُ البستاني في مادة خزاعة وانّما الاصح ما اورده البستاني نفسهُ في نفس الدائرة في مادة «العبادي» اذ قال: «نسبة الى عباد الحيرة وهم عدّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى....» وقال صاحب التاج: «العباد بالكسر... قوم من قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانية....»

(٧ً) اخوة خزاعة بنو أسلم بن أقصى ابن عامر بن قمعة الخ الخ: (ابن خلدون)

(لهُ بقيّة)

حيفا : ماضيها ومستقبلها

لحضرة الاب الفاضل ماري جوزف الكرملي

هذه اللمحة مقتطفة من خطبة القاها حضرة الاب في حيفا في ٢٥ تشرين الاول من السنة المنصرمة في افتتاح جمعية الشبان الكاثوليك . وقد اضفنا اليها بعض نصوص اخذناها عن موارد قديمة ثابتة تتمة للفائدة ل . ش

❁ اسمها ❁ انَّ اسم حيفا مشتقٌّ من العبرانية المستحدثة اي التلموديَّة وقد ورد في التلمود على صورة حيفه (חיפה) ومعناهُ فيها الفرضة والرفأ . وقد اشتقهُ البعض من العربية من الحَيف او الحَيف وهو حدُّ الحجر الجارح قالوا انَّها دُعيت بذلك لوقوعها على شاطئ البحر عند الصخور الكبيرة

ومن الاسماء التي اشتهرت بها حيفا قديمًا سيكمينوس Συκάμινος ذكرها اسطرابون بهذا الاسم في جغرافيتهِ (ك ١٦ ف ٢ ع ٢٥) وكانت في ايامهِ خرابًا . وكذلك ذكرها بلينيوس الطبيعي (ك ٥ ف ١٧) ويوسيفوس المؤرخ في العاديَّات اليهوديَّة (ك ١٣ ف ١٢ ع ٣) . وسيكمينوس باليونانية شجر التوت لعلَّها تكون دُعيت بذلك لكثرة التوت فيها . والمسيو غيرين (Guérin) يزعم انَّ اسمها مشتق من سيكوموروس συκόμορος وهو الجمَّيز باليونانية . والاوَّل اقرب الى الاصل كما ترى

ومن اسماء حيفا ايضًا پورفيريا او پورفيريون وهي غير پورفيريون الواقعة في شمالي صيداء بينها وبين بيروت . ومن الادلَّة على هذا القول ما جاء في التلمود (جمارة شبَّات ك ٢٦ ع ١) انَّ صيد صدف الارجوان (وهو معنى پورفيريون) يكون بين صور وپورفيريون جنوبًا

وقد ذكر غليلموس الصوريّ (في تاريخ الصليبيين ك ٩ ف ٢ و١٣) انَّ حيفا الساحلية في لحف الكرمل كانت تدعى پورفيريا . وكذا ورد في تاريخ جاك دي ڤتري الذي صار مطرانًا على عكَّا سنة ١٢١٦ (ف ١) ولا عجب لانَّ الاصداف التي كان يُستخرج منها اللون القرمزي لاصطناع الارجوان كثيرة في سواحل فينيقية من

لحف الكرمل جنوبًا الى ما وراء صيداء شمالًا وقد اعتنى بهِ الفينيقيّون وربحوا بهِ الارباح الطائلة وباعوهُ للقياصرة والملوك ولاهل الثروة فصار الارجوان كناية عن شارة الملك والرتب السامية فيقال « لبس فلان الارجوان » اذا جلس على سدَّة الملك. وكذلك الارجوان الروماني اشارة الى رتبة الكرادلة وهم امراء الكنيسة واعيانها (١

❁ موقعها ❁ لا بُدَّ من التمييز بين حيفا العتيقة وحيفا الجديدة. فان هذه اي الحالية حديثة بُوشر بِنائها سنة ١٧٦١ للميلاد. ومن ثم كل ما جاء في ذكرها قبل هذا العهد انَّما يصدق عن حيفا العتيقة فقط

وكانت حيفا القديمة لاصقة بجبل الكرمل موقعها قريبًا من رأس هذا الجبل الشهير اي على بعد كيلومترين بنيِّف من حيفا الحالية جنوبًا. وقد بقي منها حتَّى اليوم بعض آثار تدلُّ على مكانها فمن ذلك مدافن قديمة ترى بلحف جبل الكرمل على شكل ثلاثة قناطر مقوَّسة وكان يجعل في كل قنطرة ناووس وربَّما كانوا يتَّخذون بدلًا من الناووس حوضًا ينقرونهُ في قلب الصخر. وقد وجد مثل هذه المدافن قريبًا من مقبرة اليهود وآثارها كانت ذات شأن بقيت الى ايامنا هذه الاخيرة

ومن عاديَّات حيفا القديمة برج استولى عليهِ الخراب يدعى برج الوردة كان على شكل مستدير وموقعهُ فوق صخر يشرف على البحر. وكان لهذا البرج في خارجهِ سورٌ يقيهِ وعلى يمينهِ وشمالهِ داخل السور ابنيةٌ اخرى واكثر هذه البنايات في حالة الخراب وكان هذا البرج قد أُقيم لحماية مدخل المرفإ الطبيعي الصغير الواقع شرقي شمالي حيفا العتيقة

وممَّن احسنوا تعريف موقع حيفا العتيقة الراهب الدومينيكي بُرخرد (Burchard)

---

١) يستخرج اللون القرمزيّ من صدف يدعى باللسان العلميّ موركس (murex) وهو يُعرف في هذه البلاد ببوق المجرم. وهو نوعان نوع منهُ تكون مادَّتهُ الصبغيَّة قرمزية زاهية وهو الصنف الثاني الثمن. ونوع يكون لونهُ بنفسجيًّا. والمادَّة الملوَّنة توجد ضمن غدَّةٍ تُرى بين رأس الحيوان وكبدهِ في الجهة العليا. وهذه المادَّة ليس لها في الاصل لونٌ واذا برزت للهواء والنور تلوَّنت شيئًا فشيئًا حتى يصير لونها قرمزيًّا ثابتًا. قيل انَّ اكتشافها كان بطريق الصدفة وذلك انَّ كلب راعٍ كسر صدَفةً منها ليأكل ما في قلبها فقضخ الغدَّة المتضمّنة لتلك المادَّة فاصطبغ فوهُ بلونها الاحمر. والطبيعيُّون يخصُّون صدف الموركس باسماء مختلفة على حسب تكوينهِ وهيئاتهِ والصنف القرمزي يكون متطاولًا ولهُ منفذ للتنفس ومن كل جهة ثلاث او اربع شعب نابتة

في القرن الثالث عشر فقال: « انَّ بين نهر قيشون (وهو نهر المقطّع الحاليّ) ومدينة حيفا مسافة فرسخ (اعني مسير ساعة) وبينها وبين عكّا نحو ثلاثة فراسخ ». وهو كلام يطابق موقع حيفا العتيقة دون الحديثة

وكذلك دقّق في وصفها الشريف الادريسيّ حيث قال: « ومن قيساريّة الى مدينة حيفا على الساحل يومان وحيفا تحت طرف الكرمل وهو طرف خارج في البحر وبهِ مرسى لارساء الاساطيل وغيرها. ومدينة حيفا هي فرضة لطبريّة وبينهما ثلاث مراحل خفاف »

امّا حيفا الحالية فكان ابتناؤها على يد ظاهر العُمر الزيداني الشهير. فانَّ هذا كان من القيسيين المتاولة قلّدهُ الامراء الشهابيّون ولاية عكّا. فلمّا مات الامير بشير الشهابي الاوّل انتهز الفرصة فاستبدَّ بالسلطة واستعان بقومهِ لفتح بعض بلاد الجليل ومدن الساحل منها حيفا وجعل مركز ولايتهِ في هذه المدينة. ولمّا وجد المدينة القديمة لا تفي بمرامهِ عمد سنة ١٧٦١ الى نقلها الى مركزها الحالي فجعلها في وسط الجون على مسافة نصف ساعة من حيفا القديمة واتّخذ لبنائها حجارة البلدة السابقة. ثمَّ بنى سوراً وبرجاً مشرفاً على البلد ترى رسومهما الى يومنا هذا. واضطرَّ اهل حيفا العتيقة الى ان ينتقلوا الى المدينة الجديدة ويتّخذوا فيها سكناهم ثم هدم كل التحصينات التي كانت في المدينة العتيقة. فابتدأ مذ ذاك تاريخ حيفا الجديدة

﴿ تاريخها ﴾ يرتقي الى أيّام الفينيقيين وكانت احدى مدنهم ولمّا فتح بنو اسرائيل على عهد يشوع بن نون بلاد فلسطين جعل حيفا في حصّة سبط منسّا. وتقلّبت عليها الاحوال فزهت وخربت مرّات عديدة على عهد المصريين والاشوريين والفرس واليونان. وملكها السلوقيّون. وذكر يوسيفوس اليهودي (١ انَّ في سنة ١٠٤ قبل المسيح دعا اهل عكّا بطلميوس المعروف بلاثيروس ليساعدهم على ردّ غارة اسكندر جنّاي فلمّا قدم لم يمكّنوه من الدخول في مدينتهم. فاضطرَّ الى ان يسير بسفنهِ الى حيفا (وهو يدعوها سيكمينوس كما سبق) وانزل فيها جنوده وكان عددهم ثلاثين الفاً ثمَّ دخلت في حكم الرومان لمّا فتح بمبيُوس بلاد الشام وسواحل فلسطين. وقد

١) راجع عادياتهِ اليهوديّة ك ١٣ ف ١٢

وجدها اسطرابون وبلينيوس بعد ذلك بقليل اسماً بلا جسم لما اصابها من الخراب.
لكنّها لم تلبث ان تنمت من دمارها. وقد ذكرها اوسابيوس القيصري في معجم
الأعلام والقديس ايرونيموس من بعده. وكلهم يدعونها سيكمينوس

ثم صارت الى العرب بعد الفتح الاسلامي فملكوها الى عهد الصليبيين وحصّنوها.
قال ناصر خسرو العجمي في كتابه «سفر نامه» الذي صنّفهُ في القرن الحادي عشر:
«حيفا على شاطئ البحر فيها نخيل واشجار كثيرة. وقد رأيت قوماً من العملة كانوا
يعمّرون فيها السفن المعروفة بالجودي»

ولمّا قدم الصليبيّون الى الاراضي المقدّسة فتحوا حيفا فيما فتحوا وجعلها غدفروا
دي بوليون تحت امارة تنكريد مع طبريّة وبلاد الجليل. قال ياقوت في معجم البلدان:
«حيفا حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا لم تزل في ايدي المسلمين الى ان تغلّب
عليها كندفري (غدفروا) الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤ وبقي في ايديهم الى
ان فتحهُ صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٣ (١١٨٠ م) وخرّبهُ» .

وكانت حيفا حصينة جداً فان الصليبيين لم يمكنهم فتحها الّا بعد حصار خمسة
عشر يوماً وذلك سنة ١١٠٠ للمسيح وكانت للسادة عمارة ساعدتهم مجرًا على ذلك
وبعد خرابها على يد صلاح الدين عاد الفرنج واستولوا عليها مع عكّا وصيدا.
وحصّنها ملك فرنسا القديس لويس التاسع فبقيت في ايدي الفرنج الى سنة ١٢٩١
حيث فتحها الملك الاشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون مع عكّا وصور وصيدا.
ولم تزل تحت ولاية ملوك مصر السراكسة الى ان صارت لملوك آل عثمان ففتحها السلطان
الغازي سليم الاوّل مع بقية الاقطار الشامية سنة ١٥١٦

وقد سبق انّ ظاهر العمر غير مقامها ونقلها الى حيفا الجديدة وتولى امرها وصارت
من بعده الى احمد باشا الجزّار الذي نشر لواء العصيان على الدولة السنية. فسار اليه
نابوليون الاوّل وحاصرهُ في عكّا. وكان كليبار احد قوّاده هجم على حيفا فافتتحها.
على انّ نابوليون ما عتّم ان رجع الى مصر فارسلت الدولة العليّة جيوشها المظفّرة لمحاربة
الجزّار وارجعت حيفا تحت سلطتها. وكذلك دخلها ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ فبقيت
تحت امرتهِ الى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ فعاد الامرُ الى نصابهِ

❀ اهلها ❀ لم يكن اهل حيفا يتجاوزون ثلاثة آلاف نفس قبل اربعين سنة.

اما اليوم فقد اضحت بلدةً عامرة يتوارد اليها الناس حتى بلغ عددهم نحو ١٢٠٠٠ يبلغ الكاثوليك منهم ٤١٠٠ اكثرهم الروم الكاثوليك (٣٠٠٠) ثمَّ الموارنة (٦٠٠) ثم اللاتينيُّون (٥٠٠). وعدد الروم الارثدكس نحو الفين وكذلك عدد المسلمين والباقون اسرائيليُّون. وفي حيفا مستعمرة المانية اكثر اهلها من شيعة الهيكليين يزعمون انهم يريدون تشييد هيكل اورشليم وهم اصحاب نشاط وعمل

﴿ مقامها ومستقبلها ﴾ انَّ لحيفا مقاماً يجعلها من المدن الساحليَّة المعتبرة. وذلك اوَّلاً لوقوعها عند رأس الكرمل اذ يسهل تحصينها بالمعاقل الحريزة لردّ غارات العدوّ. وثانياً لانَّ طرقاً عديدة تفضي الى حيفا فانَّ السابلة لا بدَّ لهم من المرور بها ذهاباً واياباً اذا تبعوا الطريق الساحليَّة. فضلاً عن انها بابٌ لبلاد الجليل والاقطار الشاميَّة. ولذلك قد وطئها جنود الدول الفاتحة كالاشوريين والمصريين واليونان فقُضي عليهم ان يفتحوها اوَّلاً قبل ان يزحفوا الى داخل البلاد ويحاربوا اعداءهم في المرج وسهول مجدّو وحذاء جبال جلباع وحرمون. وثالثاً لانها فرضة لطبريَّة وحوران اليها تُنقل مرافق تلك البلاد. وفيها مع ذلك مرفأ طبيعيّ حسن ترسو عنده السفن بمأمن من انواء البحر. وزد على ذلك انَّ قضاءها كثير القرى والمزارع جيّد التربة نامي الارزاق. وفي جوارها يُصطاد الاسفنج واصناف الاسماك. وكل ذلك من شأنهِ ان يزيد تجارتها حركةً وسوقها رواجاً. وما قولنا بها اذا ما تمَّت السكَّة الحديديَّة التي باشرت الحكومة السنيَّة بانشائها ولنا الامل الوطيد انها تتمّ قريباً هذا المشروع العظيم فتتصل حيفا بسكَّة الحجاز من جهةٍ وبدمشق وحمص وحماة من جهة أُخرى

ولذلك ترى الناس يتقاطرون اليها من كل فجٍّ لموقعها التجاري وحسن هوائها. وقد أُنشئت فيها المدارس العامرة للذكور والاناث وتعدَّدت المشروعات الخيرية لاسيَّما بين الطوائف الكاثوليكية

ولنصارى حيفا تذكارٌ حسن من شأنهِ ان يحرّك عواطفهم الدينيَّة وهو انَّ مدينتهم تقدَّست بمرور عائلة الناصرة فيها. فانَّ الانجيل الطاهر يذكر ان القديس يوسف لمَّا كان عائداً من مصر ومعهُ السيّد المسيح الطفل ومريم العذراء المجيدة خاف ان يعود الى اليهودية لتملك ارخلاوس بن هيرودس عليها فاشار اليهِ الملك ان يذهب الى الناصرة. لكنَّ طريقهم الى الناصرة لم تكن امينةً من خطر ارخلاوس الَّا بان يتَّبع

شاطئ البحر فيسير من مدينة رومانيَّة الى مدينة رومانيَّة أُخرى دون ان يدخلوا مدينة يهودية ومن ثم قضي عليهم أن يمرُّوا في حيفا. وكانت الطريق الساحلية الرومانيَّة تمرُّ في حيفا العتيقة. وكانت تقطع المقام المعروف بالخضر وتمرُّ بالزورة وتتبع تقريباً شاطئ البحر مجتازةً امام باب كنيستنا اللاتينيَّة. وهذا فكرٌ تقويٌّ يبعث في اهل حيفا شواعر الشكر والحبِّ نحو السيد المسيح الذي وطئ ارضهم وباركها بمروره فيها

ومن المشاهير الذين شرَّفوا حيفا يمكنّا ان نذكر القديس يعقوب ناسك الكرمل الذي ذكرهُ البولنديون في تاريخ ٢٧ كانون الاوَّل. وفيها نشأ الامبراطور قسطنطين بورفيروجنيت الشهير بعلمهِ الذي توفي سنة ٩٥٩ للميلاد

لكن اكبر مفاخر حيفا انها تحت حماية سيّدة الكرمل التي جعلت نظرها على هذا الجبل المقدَّس المطلّ على ربوعها مع شفاعة النبيّ العظيم الياس الحيّ الذي شرَّف بقداستهِ واعمالهِ الجليلة هذه الاماكن. فاليهما نتوسل بان تتقدم هذه المدينة كل يوم في سبيل النجاح ليس الماديّ فقط بل الدينيّ والادبيّ ايضاً وفقاً لقولهِ تعالى: اطلبوا اوَّلاً ملكوت الله وبرَّهُ والباقي كلهُ يزاد لكم

المخطوطات العربيَّة في خزانة كليّتنا الشرقيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ الكتاب المقدس (العهد الجديد – تابع)

(العدد ٦) نسخة حديثة من الانجيل الطاهر عدد صفحاتها ١٠٦ طولها ٢٧ سنتيمترًا في عرض ٢٢ س. نُقلت عن نسخة قديمة وجدها الاديب اسكندر صيفي تريل لندن. وهي مترجمة عن السريانية نقلها «مار عبد يشوع الصوباوي برسم الملك المعظَّم العالم العادل المؤيد المظفَّر المنصور فخر الدين» وفي عنوانها ما يلي:

«كتاب الانجيل المقدَّس المفصَّل من الاناجيل الاربعة متَّى ومرقوس ولوقا ويوحنا المرتَّب للقراءة في دور السنة آحادًا واعيادًا ومواقيت الاصوام والتذكارين. ترجمةُ القديس الطاهر النفيس مار عبد يشوع خادم كرسي المطرنة جبوفركيًّا (ὑπαρχία ايالة) نصيبين وارمينيا واعمالها ترجمةُ

نقلًا الى العربية سنة ٦٨٩ هجرية وسنة ١٠٠٠ للاسكندر ذي القرنين (١٣٨٩ م)

ومن خواص هذه الترجمة انَّ صاحبها اراد نقلها الى العربيَّة الفصيحة مع مراعاة السجع في الفصل الواحد. الّا ان ذلك كثيرًا ما يؤدي بالناقل الى التصنُّع والزخرفة الباطلة (١. ويفتتح كلامهُ بمقدمة هذا اوَّلها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استغرق الازل قِدَمُهُ. واجرت الدهول حِكَمُهُ. وفاقت الاحصاء نِعَمُهُ. وجاوزت الحدود قسمهُ. الذي ارسل مسيحهُ وظُلَم الاضاليل على مُقَل الالباب عاكفة. وكم الاباطيل في آفاق المسكونة هاتفة. وعادات الطغيان مشهورة. وعبادات الاوثان مأثورة. فاشرقت شموس العرفان بنوره. وبسقت غروس الايمان عند ظهوره. . . الخ

ثمَّ يذكر الذين سبقوهُ الى تعريب الاناجيل كالشيخ ابي الفرج بن الطيّب ويشوعيهب بن ملكون مطران نصيبين اللذين عرَّبا الاناجيل على طريقة سهلة قريبة الفهم. وكذلك «الشيخ ابن داود (داد؟) يشوع (والصواب داد يشوع) الذي ادَّعى البلاغة في نقلهِ لكنَّهُ خلط جمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيَّر الاسماء وبدَّل الالقاب». فذلك ما حمل عبد يشوع على اخراج الاناجيل على هذه الطريقة الجديدة. ثمَّ يقدّم على ترجمتهِ ثماني مقدَّمات تُتلى قبل الفصول الانجيليَّة لكل من الانجيليين الاربعة مقدَّمتان. هذا مثال من هذه المقدَّمات وهي الثانية لمتى الرسول:

«انَّ اوثق ما تمسَّك بهِ العقول من عُرى حقائق البرهان. وانجلت بزواهر نورهِ ظلم الشكوك عن حدائق الاذهان. وانقادت بلطيف بيانهِ قلوب الانام الى طريق الايمان. وحصل آل البشر بشريف ضمانهِ من السقطة في مهاوي الضلال على ثقة وامان. كلامُ فاطر الخلائق ومبدع الاكوان. المنزَّل من العلى وَحْيًا مقرونًا برحمة ورأفة وحنان. على لسان البشارة الانجيلية وبشير الامة الاسرائيلية. المنقول من زمرة المكسة والعشَّارين. الى الانخراط في سلك القدس والطهارة مع الرسل المختارين. المبعوث الى آل يعقوب بشيرًا ونذيرًا. والمجعول لسائر الشعوب عَلَم الهداية وسراجًا منيرًا. محلّي جياد العقائد بلآلئ الاسرار الكاملة. ومطرّز اثواب الفضائل بمذهَّبات من رقوم سندس المناقب الافضالية. ذو الفضل الاثير. والعقل المستنير والبيان المنير. مهذّب الافهام والعقول. سيّد الائمة متّى الرسول»

ثم يلي هذه المقدَّمات فصول انجيليَّة تُقرأُ على مدار آحاد السنة واعيادها مباشرةً بالاحد الثالث من قدَّاس البيعة على حسب ترتيب الكنيسة الكلدانيَّة. وهاهنا اورد

١) راجع مقالة الاستاذ غويدي في الاناجيل العربيَّة 1. Guidi : Le traduzioni degli Evangelii in arabo, p. 27.

هنا للقرّاء مثالاً من هذه الترجمة وهو اوّل الفصل الثاني من بشارة لوقا ليروا ما فيها من التكلّف. وربّما غيّرت المعنى الاصلي

« ولمّا كان في تلك الأيام. برز الامر من اغسطوس قيصر العالي الاحكام. ليُكتَب جميع شعب عمّلهِ باحصاء تامّ. وهذه الكتابة الاولى كانت بالالمام. في ولاية قورينوس على الشام. وكان يصير كل انسان الى بلدتهِ ليُكتَب بها بإلزام. فأصعد يوسف ايضاً من ناصرة مدينة الجليل الى هود لتذكير (كذا) عهد وذمام. الى مدينة داود المدعوَّة بيت لحم بلسان الدوام. لانهُ كان من اسرة داود ومن آل الكرام. ومعهُ مُمْلَكَتهُ ليكتب هنالك قائم (كذا). وعند كونهما في المقام كملت للولاد ايّامها وبلغت التمام. فولدت ابنها البكر لسالم الدوام. ولفّتهُ في قمط وألقتهُ في معلف البهام. لانهُ لم يكن لهما مكان حيث خلا من الازدحام. وكان في الصقع رعاة حاثوه مع السوام. يحفظون رعيهم في هزيع الليل ايقاظاً غير نيام. واذا ملك الله قد اقبل اليهم تغشّاهم بإلمام. ومجد الربّ انار عليهم في الظلام. فجزعوا جزعاً شديداً ذا استعظام. فقال لهم الملك: لا خوف عليكم ولا حذر الحِمام. فاني مبشركم بمسرّة عظيمة وفرح عام. يكون لجملة العالم لهُ الاغتنام. لقد ولد لكم اليوم مخلّص بهِ الاعتصام. وهو الربّ المسيح في مدينة داود الملك الإمام . . . . . »

(العدد ٧) نسخة من الاناجيل الاربعة صفحاتها ٣٤٠ وطولها ٣٢ سنتيمترًا في عرض ٢٢ س مجلّدة بجلد احمر منقوش مكتوب بخط جلي وشكل كامل. نسخها الاديب الفاضل رزق الله بن نعمة الله حسّون « عن نسخة مرقومة عن دستور المترجم نفسهِ عينهِ عام ١٦٩٤ موقوفة لكنيسة مار الياس في مدينة حلب سنة ١٨٤١ مسيحية ». وهي نسخة جميلة بحبرين اسود فاحمر. ولكل صفحة عشرون سطرًا. امّا صاحب هذه الترجمة فقد ورد اسمهُ في صدر الكتاب وهو « الشيخ المحقّق والامام المدقق فريد دهرهِ ونتيجة عصرهِ ابو المواهب يعقوب بن ابي الغيث الدبسي » وهو الذي ورد ذكرهُ في هذا العدد من المشرق (ص ٥١) فقيل عنهُ انهُ كان معلّماً للسيّد جرمانوس فرحات. ولهذه الترجمة مقدمة طويلة اولها:

« الحمد لله الذي تعالى بكبريائهِ عن ملاحظ الابصار. وتجلّى على قلوب اصفيائهِ ببصيرة الاستظهار. المستغرق بالقدم الازليّة المقدار. الذي ارسل مسيحهُ منبئاً بما بهِ قد وعد. على ألسن انبيائهِ الذين نبأ كلّ منهم قَرَنهُ لمّا ورد. حين مدّت ظالم الضلالة على آفاق المسكونة رواقها. وارتضعت غواية الجهل من ضرع النباوة فواقها . . . فومض حينئذٍ سرُّ سنا اللاهوت في قالب الناسوت. ولمحت ابصار البصائر مجد الملكوت . . . الخ »

ثم يقول في هذه المقدّمة انهُ اتّخذ ترجمة الشيخ عبد يشوع الصوباوي السابق

ذكرها وتمنا آثاره لكنّهُ « اعرض عن اساجيعهِ التي قصدها والزيادات التي تورّدها » كما انهُ اخذ ترتيب الاناجيل الاربعة على ما هي في الاصل دون تقسيمها على مدار السنة. وقد انجز ذلك « على عهد الاب الفاضل والحبر الكامل والبطريرك المكرَّم والطوبان المفخَّم مار اسطفانوس بطرس الانطاكي » يريد العلامة الدويهي. وذلك سنة ١٦٩١ للمسيح. ودونك اوَّل الفصل السابق نقسهِ من لوقا لترى ما بين الدبسيّ وعبد يشوع الصوباويّ من الاختلاف والائتلاف :

ولمَّا كان في تلك الايام برز الامر من أغسطس قيصر ليُكتَب جميع شعب عملهِ. وهذه الكتابة الاولى في ولاية قورينوس على الشام. وكانَ يصير كل انسان الى بلدتهِ ليُكتَب بها. فأصعد يوسف أيضاً من ناصرةَ مدينة الجليل الى هُود الى مدينة داود المدعوة بيت لحم. لانَّـهُ كان من أسرة داود وآلهِ ومعهُ مريم مـلّـكتهُ وهي حامل ليُكتَب هناك. وعند كونهما في المقام كملت الولاد اياها فولدت ابنها البكر. ولفّتهُ وألقتهُ في معلف لانهُ لم يكن لهما مكانٌ حيثُ حلّا. وفي الصقع رُعاة يحفظون رعيهم في الحقل في هزيع الليل ايقاظاً نوبًا على مراعيهم. واذا ملك الله قد اقبل اليهم ومجد الربّ انار عليهم. فجزعوا جزعاً شديدًا. قال لهم الملك: لا خوف عليكم. فاني مُبشركم بفرح عام هذا يكون لجميع العالم. لقد وُلد لكم مخلص وهو الربُّ المسيح في مدينة داود. . .

ومن خواص هذه النسخة انَّ في آخرها شرحاً للالفاظ الغريبة الواردة في كل فصل (ص ٢٦٥ — ٣٤٠). ولعلَّ هذا الشرح هو لرزق الله حسّون التاسخ

(العدد ٨) نسخة قديمة من الاناجيل المقدّسة وجدناها في ماردين عدد صفحاتها ٢٨٠ طولها ٢٨ س كُتبت منـذ نحو اربعمائة سنة بخط مُشرق وورق صفيق وفي كل صفحة ١٦ سطرًا. وزينها اربع صور ملوَّنة متقنة الصنع باطـار من ذهب وزهور قد محا الزمان بعض رونقها. وهي تمثِّل الانجيليين الاربعة. وفي صدر كل انجيل عنوانهُ باطار من الوان مذهَّبة. وفي اوَّل الكتاب فاتحة اثبتناها في المشرق (٤ : ١٠٧) وفي مقدمة كل من الانجيليين نبذة في تعريف اصله واعماله. قال في ترجمة متّى :

« متى وهـو لاوي الذي من بعد الجباية صار تلميذًا ورسولاً وتغيّر اسمهُ المصطفى وهو من سبط ايساخر من مدينة الناصرة واسم ابيهِ دوفوا واسم امهِ كادوتياس. . . . . وكتب بداية هذه البشارة بفلسطين وكمّلها في الهند عبرانيّاً حيث طُرد التلاميذ من ارض اليهوديّة في السنة الاولى من ملك اقلوديوس قيصر وهي التاسعة للصعود المقدّس وكانت شهادتهُ بمدينة بسيرى رَجماً في ثاني عشر تشرين الثاني ودُفن في ارطاجنّة (؟) قيساريّة. . . . »

ويليهِ انجيل متى مقسماً مائة فصل وفصل. وفي الختام ما حرفهُ (ص ٧٨) :

« كملت بشارة متّى الرسول التي كتبها بارض فلسطين حيث طُرد الرسل من ارض اليهودية

بعد صعود سيدنا له المجد بثمان سنين في اوّل سنة من ملك اقلوديوس ملك رومية »

وقال في مقدمة انجيل مرقص بعد الدعاء الى الله ما حرفهُ (ص ٧٩) :

« وكان (اي مرقص) كتب بشارتهُ بمدينة رومية في السنة الرابعة من ملك اقلوديوس بعد صعود السيد المسيح باثنى عشر (كذا) سنة باللغة الرومية وهي الف وثلثائة كلمة وكرز بها الجليل القديس بطرس رأس الحواريون (كذا) ملمه بروبية اوّلاً ثمَّ كرز بها القديس مرقص بعدهُ بالاسكندريّة ومصر واعمالها وخمس المدن وكانت وفاتهُ في الاسكندريّة شهيدًا : ... »

وقد قسم انجيل مرقس الى ٥٤ فصلاً. ويليه انجيل لوقا في ٨٦ فصلاً قدَّم عليه المترجم مقدّمة تلفت منها صحيفة كانت في آخر انجيل مرقس واوّل انجيل لوقا وقد بقي منها ما حرفهُ (ص ١٢٧) :

«... يكون معهُ (اي يكون لوقا مع بولس) وصار تلميذًا . وكانت وفاتهُ بروبية شهيدًا في الثاني والعشرون (كذا) من بابه . فامّا انجيلهُ فانهُ كتبهُ باليوناني بالاسكندريّة في السنة الرابعة عشر من ملك اقلوديوس قيصر وهي آخر ملكهِ بعد صعود سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح المجيد الى السماء باثنا وعشرون (كذا) سنة واعلن فيهِ بملك المسيح وكينونته اذ جمع بين سبط لاوي وسبط يهوذا . وكرز بهِ بولس اوّلاً ثمَّ كرز بهِ لوقا بمدينة مكدونية . ... »

ثم ذكر الكاتب عدد الفصول والآيات والكلمات. ويعقب هذه المقدّمة انجيل لوقا الى الصفحة ٢١٢ ويختمها بما حرفهُ :

« كملت بشارة لوقا الحكيم التي كتبها باليوناني بمكدونية بعد صعود السيد المسيح باثنين وعشرون (كذا) سنة في السنة الرابعة عشر لاقلوديوس قيصر »

ويلي ذلك مقدّمة انجيل يوحنا البشير (ص ٢١٣) كما ترى :

« نبدأ بمعونة الله وحسن توفيقهِ نكتب انجيل القديس يوحنا البشير احد الاثني عشر رسولاً الذي كتبهُ باليونانية بمدينة افسس في السنة الثامنة عشر من ملك نارن ابن اقلوديس الذي قتل بطرس وبولس بمدينة رومية ... بعد صعود الرب بثلاثين سنة . وكرز بها اولاً في بلاد اسيا وبعد ذلك بافسس . وايضًا اقام بها ٢٧ سنة تتمَّة ملك نارن ست سنين ومدة ملك اسفاسيانوس عشر سنين ومدة ملك طيطس ولده سنتان (كذا) . ولمَّا ملك دمطيانوس اقام في ملكهِ تسع سنين وبعد ذلك نفاه الى جزيرة في البحر يقال لها بطمن (بطموس) فاقام بها سبع سنين الى وفاة دمطيانوس . وحينئذٍ ملك بعده نارن الصغير (يريد نرڤا) فاعادهُ الى افسس فاقام بها مدَّة ملكهِ وهي سنة واحدة وبنا (كذا) فيها كنيسة وكتب رسائلهُ الثلاثة (كذا) التي هي الكاثوليكن . وكان معهُ من تلاميذه ثلاثة احدهم اغناتيوس الذي صار بطركًا على انطاكية وطُرح للسباع بروبية . والثاني فلقار بوس (فوليقَرْ بوس) الذي صار اسقفًا على سوِرِنا (ازمير) واستشهد بالنار . والثالث فوجين (فوجيلُّوس) وهو الذي استخلفهُ على افسس . ولمَّا ملك طرايانوس (ص ٢١٤) اقام يوحنَّا في ايّامهِ ست سنين ومات بها في اربع طوبه وكانت حياتهُ مائة سنة وسنة واحدة ... وفوجين تلميذه ..

هو الذي كتب الابوكالبسيس عن ملاحم يوحنا. وذكر انّ القديس يوحنا املاهُ عليهِ من فيهِ الطاهر. واما يوحنا فكان اسم ابيه زبدى واسم امهِ اولًا ثاوفيلا ثم سُمِّيت بعد هذا مريم وهو من بيت صيداء ونسبتهُ الى سبط نابولون (زابولون)... وبليهِ خبر موتهِ واختفاء قبرهِ... مع ذكر فصول انجيلهِ ٤٦ فصلًا)

امّا ترجمة هذا الكتاب فهي فصيحة رغمًا عمّا دخلها من بعض الاغلاط اللغوية. والمرجّح ان هـذه الترجمة احدى التراجم التي كُتبت في مصر فشاعت في كل انحاء الشام. وهي تشبه ترجمة ابن عسَّال التي تصان في بيت المرحوم الطيّب الذكر بشاره الخوري وقد وصفناها في المشرق (٤ : ١٠٢–١٠٦) وهذا مثال من نسختنا مأخوذ من آخر انجيل يوحنا يمكن مقابلتهُ مع قطعة لابن عسَّال رسمناها هناك بالتصوير الشمسي :

« فلمّا اكلوا قال يسوع لسمعان : يا سمعان بن يونا تحبّني اكثر من هؤلاي (كذا). قال لهُ : نعم يا رب انت تعلم اني احبّك. قال لهُ ارعا (كذا) خرافي. ثم قال لهُ ثانيةً : يا سمعان بن يونا تحبّني. قال لهُ : نعم يا سيّد انت تعلم اني احبك. قال لهُ : ارعا كباشي. ثم قال لهُ ثالثةً : يا سمعان بن يونا تحبّني. فحزن بطرس من اجل قولهِ لهُ ثلاث مرّات تحبّني. قال لهُ : يا سيّد انت عارفًا (كذا) بكل شي. وانت تعلم انني احبك. قال لهُ : ارعا نعاجي. الحقّ الحقّ اقول لك اذ كنتَ شابًا كنت تشدّ حقويك وتمشي حيث تشاء. واذا شختَ فستمدّ يداك (كذا) وآخرون يزّرونك ويذهبون بك حيث لا تشاء. قال هذا ليعلمهُ باي موتهِ مزمع ان يمجد الله... »

وهذه الترجمة تشبه نسخة اخرى وصفناها في العام الماضي ووقفنا عليها في بيت الخواجا بطرس افندي تيّان وذكرنا منها مثلًا (راجع المشرق ٦ : ٢٣٨–٢٤٠)

(العدد ٩) نسخة مخطوطة من الاناجيل المقدّسة طولها ٢٨ سنتيترًا ونصف في عرض ١٩ س صفحاتها ١٣٠ ولكل صفحة ٢٩ سطرًا كتبت سنة ١٨٣٥ بخط غير متقن بحبر اسود واحمر على يد الياس ابن الخوري مخائيل جبالا. وهذه النسخة تحتوي الاناجيل المقدّسة مقسمة على مدار اعياد السنة حسب ترتيب الآباء القديسين الشرقيين مضبوطةً على اللغة اليونانية. أمّا الترجمة فهي لعبدالله ابن الفضل ابن الانطاكي توافق النسخة المطبوعة في حلب سنة ١٧٠٦ (راجع المشرق ٣ : ٣٥٦) ثمّ جُدد طبعها في الشوير مرارًا

(العدد ١٠) نسخة خطية عدد صفحاتها ٥٣٣ طولها ٢١ سنتيترًا في عرض ١٥ س. تحتوي اولًا رسائل القديس بولس وغيرهِ من الرُّسل وفصولًا من كتاب الاعمال لمدار

السنة حسب الطقس اليوناني (ص ١ : ٢٥٢). وثانياً كتاب النبوات « لقراءات الصوم والبيرمونات والاعياد على دور السنة كما هو معين من الآباء القديسين الشرقيين في كتاب التيكون والتريودي والبنديكستاري والمينيون » ص ٢٥٣ — ٥٣٣ . والكتابان في جلد واحد قد نسخهما الكاتب السابق ذكرهُ الياس ابن الخوري مخائيل جبالا اللاذقاني اصلاً والارثذكسي مذهباً باشر في نسخهما سنة ١٨١٢ وانجزهما سنة ١٨١٣ وذلك في مدينة ملون (Melun) المجاورة لباريس. امَّا الترجمة فهي نفس الترجمة التي طُبعت بهمَّة البطريرك اثناسيوس الرابع في حلب سنة ١٧٠٨ وتكرَّر طبعها بعدئذٍ في دير مار يوحنَّا الصابغ في الشوير (راجع المشرق ٣ : ٣٥٧ و٣٦٢) والمظنون انها ترجمة عبدالله بن الفضل الانطاكي (البقيَّة لعدد آخر)

العلوم في السنة المنصرمة

للاب بطرس دي فراجيل اليسوعي مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

٣ — الكيميا

لنَّ في الطبيعيات قسماً يدخل في حكم الكيميا تقدم اكتشافاته على الاكتشافات الكيموية المحضة

من ذلك انَّ الكيمويين توصَّلوا الى أن يُهبطوا درجة الحرارة الى ٢٥٠ درجة تحت الصفر من القياس المئوي ولا يخفى انَّ انتهاء الحرارة يكون في الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر. وهذا اكتشاف مهم. بل جاوزوا هذا الحدَّ وجمَّدوا الهيدروجين في الدرجة — ٢٥٨ اي في الدرجة ١٥ من منتهى الحرارة

ومن اكتشافات الكيموي ديوار (Dewar) انهُ ينال الفضاء التام بتجميد الهواء بواسطة الهيدروجين السَّائل بحيث لا يزيد ضغط هذا الهواء الجامد في الجَلَد الواحد قسماً من الف الف

وقد لحظوا انَّ جراثيم حيَّة وبعض الاجسام الآليَّة تبقى على حالتها في هذه الدرجات البالغة من البرد دون ان تفنى حيويَّتها. واستنتجوا من ذلك نتيجةً تخصُّ تركيب نظامنا

الشمسي فقالوا: ان كانت هذه الجراثيم رغماً عن هذا البرد القارس لا تزال حيّة فليس بمحال أن تكون جراثيم حيّة انتقلت من سيارة الى أخرى

ومن الاكتشافات المفيدة انّ الكيموي الفرنسوي كلود (Claude) وجد طريقة لطلاء الآلات وذلك بواسطة الهواء المائع بدلاً من الزيت. وصار يتّخذ هذا الهواء في كل الاحوال التي لا يمكن استعمال الزيوت فيها كما في البرد القارس حيث تجمد الزيوت

وان اعتبرنا الآن علم الكيميا صرفاً وجدنا انّ نطاق هذا العلم قد اتسع منذ زمن قليل اي اتساع حتى انّه صار اليوم بمثابة علوم متعدّدة قائمة بذاتها منها الكيميا الآليّة والكيميا الحيويّة والكيميا الطبيعية والكيميا الكهربائية والكيميا الطبيّة والكيميا الصناعية. وكلّ فرع من هذه الفروع كاد يستقلّ عن الآخر. الاّ انّ هذه التقاسيم المختلفة تعود الى ثلاثة امور وهي القوّة والمادّة والحياة

١ (القوّة) لا بدّ من ذكر اختبارات المسيو فيري (Féry) في بيان قوّة بعض المركّبات الاوكسيديّة في انبعاثات نورها وحرارتها. وكذلك بين آخراً العلامتان كوري (Curie) ولابورد (Laborde) انّ لأملاح الراديوم حرارةً تحير لها عقول الطبيعيين وتبطل اقوالهم في ماهية الحرارة واليوم قد دخل علم الحرارة الديناميسية والحرارة الكيمويّة في طور جديد

٢ (المادّة) انّ الكيمويين اعملوا النظر في المادّة فقلبوها ظهراً لبطن وبحثوا في كلّ دقائقها بالتحليل والتركيب فلا يزالون كلّ يوم يجدون اجساماً آليّة جديدة ويوسعون دائرة العناصر الاولية

ومن ذلك انهم وقفوا على عدّة مواد ملوّنة ترى الوانها ثابتةً لا يعمل فيها الهواء ولا النور. من ذلك جنس الاصباغ الفيلامية (alphylamidés). ومنها صنف آخر يسمّى اندنترين (indanthrène) جعل التجار يتّخذونه لصبغ القطن دون وسيط باللون الازرق القامق الثابت. وكذلك قد ركّب اصحاب الكيميا الصناعية عدّة عطور وطيوب والوان وصبغات مع مواد لزجة وحوائج صناعيّة يتّخذونها من الخشب

امّا مزج المعادن وتركيبها فقد خصّ العلماء الفرنسويون والالمانيّون نظرهم في امرها فاستدلّوا على مركّبات ثمينة اخصّها اجسام يركّبونها من الفولاذ والنيكل وضعها المسيو « شرل ادوار غيليوم » ومن خواصها انّها تقبل التمدّد فتبلغ بذلك ما يبلغهُ النحاس

الاصفر او الشبه ويمكن بعكس ذلك ضغطها الى عُشر امتداد البلاتين. وكان لهذا الاكتشاف دويٌ عظيم في الصناعة

ومما يهمُّ الزراعيين اكتشافهُ سمادٌ جديد كثير الجدوى يصلح للتربة ويزيد في قوَّتها النابتة وهو يتركّب من اقسام معلومة من الكلس والفحم باثبات الازوت فيهما

٣ (الحياة) ألا انَّ اعظم الاكتشافات الكيموية في العام الماضي انَّما كان في اطوار الحياة الحيوانية واليها توجهت الابصار لعلاقتها بحياة الانسان. ومما بحث عنهُ الكيمويون خصوصاً في العام الماضي امران الخميرات والكحول

فالخميرات التي دارت عليها الابحاث تدعى دياستاز (diastases) او أنزيم (enzymes) ويلحقون بها شبه الخميرات (enzymoïdes). وهذه الخميرات لا يخلو منها النسيج الحيواني ايًّا كان قد جعلها الخالق فيهِ ليفصل المواد الدسمة فيحوّل النشأ واللبوب الى سكّر وغلوكوز ويبعث الاختمار الكحولي في المواد السكرية. وفي رضاب الفم شيء من هذه الخميرات وهي التي تساعد الحيوان على هضم الطعام

وقد اثبت الكيمويون الالمانيون مُنتس (Müntz) وغرين (Green) وسغمند (Sigmund) عمل هذه الخميرات في النبات وقت نشأتهِ واستدلوا على فعلها في المواد الدسمة. وتعقَّب آثارهم العلماء كنستين (Connstein) وهوير (Hoyer) وفرتمبرغ (Wartemberg) فبيَّنوا انَّ ضروبًا من النبات لاسيَّما الخروع لها خميرات خاصة بها من شأنها ان تفصل في المواد الدسمة الغليسرين عن الحوامض الدسمة. وهذا اكتشاف مهمٌّ لاصطناع الغليسرين التي كانت تستخرج بكمية قليلة من تركيب الشمع الشحمي مع انَّ الغليسرين تزداد كل يوم شأنًا وفائدة

فبهذا الاكتشاف الجديد يمكن الآن فصل الغليسرين ليس فقط عن المواد الدسمة التي تدخل في تركيب الشمع الشحمي لكن ايضًا عن المواد المستعملة في اصطناع الصابون. ثم انَّ الحوامض التي تُنال بهذه الطريقة لا لون لها ولا رائحة وهذا مما يزيدها فائدة

وكذلك توفَّق العالمان ستوكلازا (Stoklasa) وسرني (Cerny) فاستخلصا من الانسجة الحيوانية خميرًا آخر دعواهُ زيماز (zymase) امكنهما ان ينالا به اختمارًا

كحوليًا كاختمار الزغابات (levures). وهما الآن يبحثان عمَّا لهذا الخمير من العمل في وظائف الحياة

اما الشبيهة بالخميرات (enzymoïdes) فهي المواد السامة (toxines) والمنافية للسم (antitoxines) وما جرى مجراهما. وكان العلماء ينظمونها في سلك الخميرات الا انَّ ابحاثهم الجديدة قادتهم الى الافراز بينهما

ومن قبيل هذه الاكتشافات مادَّتان جديدتان استخرجهما المسيو كونرادي (Conradi) من الانسجة وهما الترومبين (thrombine) والانتيترومبين (antithrombine) تجمّد الاولى الدم السيَّال بخلاف الثانية التي تدرُّهُ اذا جمد

هلمَّ الآن نبحث عن الكحول والمشروبات المسكرة وقد كثر في ذلك القال والقيل منذ عهد قريب في الصحائف العلميَّة والجرائد السيَّارة. فمنها ما يثبت نفع الكحول ومنها ما ينكرهُ بتاتًا

والاختبارات الحديثة في هذا الشأن قد جرت على يد عالمَيْن اميركيين اسمهما اتواتر (Atwater) وبنديكت (Benedict) فادَّت بهما الى نتائج اجابوا فيها على هذه الامور الثلاثة

١ً هل الكحول يتحوَّل بقوَّة الجهاز الحيوي

٢ً هل الكحول يفيد الجهاز الحيوي

٣ً والى اي مقدار يفيدهُ

فاجاب العالمان المذكوران استنادًا الى تجارب متعددة على (السؤال الاوَّل) انَّ الكحول والمشروبات المسكرة لا تبقى في حالتها الطبيعيَّة الَّا بكميَّةٍ زهيدة جدًّا وخصوصًا في الساعات التي بعد الاكل فيخرج هذا القليل مع المفرزات لاسيَّما مع غازات التنفُّس والبول. والقسم الاعظم منها اي من ٨٠ الى ٩٥ بالمئة تتحوَّل بقوَّة الجهاز الطبيعي وتدخل في الجسم

امَّا (السؤال الثاني) اعني هل تفيد هذه المشروبات الكحولية الجسم في وظائف الحياة. فهذه خلاصة ما ادَّت بهما اليه اختباراتهما: انَّ المشروبات الكحولية تفيد الجسم وتغذيه وتقويه بشرط ان لا تسبّب سكرًا وان خفيفًا. فان كان ذلك اضحى الكحول سمًّا. ومن جملة الامتحانات التي باشرها العالمان المومأ اليهما انهما اطعما عدَّة

بهائم طعاماً واحداً واضافا الى طعام قسم منها قليلاً من الكحول على صورة الخمر فزاد وزن هذه دون تلك

ولكن اذا صحّ القول بان الكحول يفيد الجسم هل يا تُرى هو من المواد المغذية التي تبعث في الحيوان قوةً كما تفعل الاطعمة العاديَّة التي يقتات بها الانسان كالمواد الدسمة وهيدرات الكربون. فالجواب على هذا السؤال انَّ المشروبات الكحولية تفيد جهاز الحيوان وتردُّ له ما فقده من الشدَّة وتبعث فيه قوَّة جديدة حيويَّة. وبذلك تدخل في حيز الاطعمة المغذية. ولكن كما سبق يُشترط بان لا تتجاوز كميتها الحدَّ فتصير اذ ذاك مضرَّة سامَّة. وهذا لا يختصُّ بالمشروبات الكحولية وحدها فان الحوامض كلها ولو كانت مغذية تضرُّ بخلايا الجسم وتتلفها اذا ما استُعملت صرفاً ولم تلطَّف بالمزيج. مثال ذلك نترات الصودا الذي يغذي النبات وينميه واذا زادت كميتهُ قتلهُ

فقد ثبت اذن انَّ الجسم يستفيد من الكحول والمشروبات الروحية كما يستفيد من الشحم والسكّر والنشا وينال منها قوَّة حيويَّة. على شرط أن لا يتجاوز الكمية القانونية. وكذلك يكون الكحول مضراً او مفيداً على حسب هيئة شربهِ وصفائهِ وما يدخل فيهِ من الافاويه

والمقرَّر انَّ رجلاً ذا بنية حسنة وصحة جيدة يمكنهُ في النهار ان يشرب لتراً واحداً من الخمر ممزوجاً بمعدَّل ثماني او تسع درجات من الكحول. فيكون مجمل ما يشربهُ من الكحول في آخر السنة ثلاثين لتراً. لكنَّ هذه الكمية اذا شربها الشارب صافية غير ممزوجة وملطَّفة وقسَّمها على أيام السنة اضرَّتهُ ولم تنفعهُ

ومَّا سبق يُستخلص الجواب على (السؤال الثالث) اعني باي مقدار يفيد الكحول الجسم. فنقول انَّ الكحول اذا مُزج وشُرب دفعاتٍ متعددة يُمكن ان يبلغ مقدار غرامٍ بالنسبة الى كيلوغرام من وزن الجسم. ويكون حينئذٍ نافعاً للجهاز الطبيعي وتكون قوَّتهُ الغذائية اعظم من قوَّة النشا (كالخبز مثلاً) تحت ثقل اضعف

ولكن اذا شربهُ الشارب دفعةً واحدة ولو لم يتجاوز غراماً كل مرَّة او غرامين في مرَّات متوالية صار الكحول داء للجسم وسمّاً ناقعاً لا يغذيهِ ولا يزيد في حرارتهِ

فترى ان الكحول جامعاً بين الخير والشرّ فاذا اكتفى الانسان بمنافعهِ نال خيراً واذا بالغ في استعمالهِ تأذّى بشرّهِ. والعاقل من اختار الخير وحاد عن الشر

٤ الطب وعلم مبادئ الحياة ووظائفها

انَّ مباحث العلماء في العلوم الطبيَّة والفيزيولوجيَّة في العام الماضي دارت خصوصاً على قطبين. الاوَّل شفاء السل. والثاني صناعة الاغتذاء وحسن الاكل. وتقدّم هذا الثاني على الاوَّل لعظم شأنهِ وفي عدد آت نعود الى ذكر السل

(صناعة الاغتذاء) كان العلماء يتباحثون سابقاً في امر الطعام وتهيئتهِ ويهضمون حقوق الطبَّاخين وينسبون الى صناعتهم مضرَّات عديدة. وكان بعضهم يرتأُون انَّ الطبَّاخ لا بدَّ لهُ ان يكون كيمويًا ماهرًا فيحلّل الاطعمة ويحسب ما يدخلها من الازوت وما يجب اضافتهُ اليه من المواد الدسمة لتقوية جهاز الحياة. وان شاء بدل ايضاً هذه المواد بشيء من الاشربة الروحية التي اقرّوا بتغذيتها للجسم. ومنهم من كان يزعم انهُ يمكن بدل الاطعمة ببعض اقراص كثيرة الغذاء تكون في جيب كل رجل فيبتلعها بطرفة عين عند مسيس الحاجة دون ان ينقطع عن اشغالهِ

امَّا اليوم بعد سبع او ثماني سنين من ابحاث متواصلة واختبارات عديدة فقد وجدوا انَّ فن الطباخة لا يحتاج كما زعموا الى رجل حاذق بالكيميا وانَّما الاولى بالطبَّاخ ان يكون صحيح الذوق فيحسن تهيئة الاطعمة ويتقن معرفة اصول الطباخة

والذي افحم كل المعترضين هو الدكتور الروسي پاولوف (Pawlow) اثبت خلاصة ابحاثهِ في كتاب دعاهُ "عمل الغُدَد الهضميَّة". وكان الاطبَّاء قبلهُ لاستثبات عمل الهضم في الحيوان يستعملون طريقتين الطريقة الاولى بان يجعلوا في زجاجة الاطعمة ويمزجونها بسوائل المعدة او البنكرياس او بسوائل الصفراء فيحكمون باختلاطها عمَّا يحدث في الهضم. والطريقة الثانية انهم كانوا يعمدون الى حيوان حي فيشرحونهُ ويفحصون ما يجري في معدتهِ من العمل وقت الهضم من الافرازات وتركيب الكيلوس

امَّا الدكتور پاولوف فانهُ اتخذ طريقة ثالثة لدرس هضم الاطعمة. فانهُ اخذ كلاباً طيبة الجسم ولم يزل يدرّبها شيئاً فشيئاً الى ان بلغ فتح اجهزتها الهضمية دون ان يحيّها بأذى في وظائفها الحيوانيَّة بحيث يمكنهُ ان يفحص ما يجري لها وقت هضمها الاطعمة بلا انقطاع ويستطيع ان يدخل في هذه الاجهزة ما شاء من المآكل وفي اي كمية شاء مع بقاء هذه الكلاب بتمام صحتها

وقد انشأ الدكتور باولوف مقاماً كبيراً لاختباراته جمع فيه عدداً وافراً من الكلاب وهي في اقفاص مختلفة يضربها ويبعث شهوتها للأكل. وقد جهز كل هذه الحيوانات باجهزة متعددة. فمنها ما قطع له بلعومه في عنقه بحيث يدخل الطعام في فمه ويخرج من البلعوم دون ان يدخل المعدة. اما المريء اي طرف البلعوم النافذ في المعدة فيمكن جعل الطعام فيه من الخارج دون ان يشعر به الحيوان. ومن هذه الكلاب ما جُهز بمعدتين معدة كبرى للاطعمة ومعدة صغرى مركبة من الكبرى لا تنال طعاماً وانما تفرز مع الكبرى سيالاً يجري منها في جدول ينتهي الى حنفية

وقد توصل الدكتور باولوف وتلامذته الى بيان ثلاثة امور اولاً حقيقة الطوارئ الطبيعية والكيموية التي تنقاد لها الغدد الهضمية. وثانياً الوفاق الموجود بين وظائف الغدد المتوالية. وثالثاً نفوذ الحركة النفسية فيها. وليس يخافى ان الغدد التي تطبخ الطعام في الجسم على ثلاثة اصناف الغدد الرضابية التي في الفم ثم الغدد التي في غشاء المعدة ثم غدة البنكرياس التي لها مجرى الى المعى. والمعى ينفذ في رأس المعى الدقيق (duodénum). فان اعتبرنا هذه الغدد وقت الأكل ادركنا ما هو عملها الخاص

واول ما يتحرك في العمل غدد الريق او الغدد الرضابية وهي تتأثر بنوع خاص بالاطعمة اليابسة. فان اخذت مثلاً قطعة من اللحم الطري وادخلتها في فم الكلب المقطوع البلعوم خرجت من بلعومه دون ان يسيل ريقه الّا قليلاً. اما اذا ايبست اللحم ودققته دقاً ناعماً واطعمته اياه رأيت لعابه سائلاً لوقته بكثرة. والدليل على ان هذه الغدد لا تسيل الّا بسبب يبوسة الطعام انك اذا جعلت في فم الكلب رملاً سال ريقه كما يسيل باكله اللحم اليابس. وكذا يجري للانسان العطشان الذي يلوك حصاةً في فمه

اما غدد المعدة فان الذي يحركها لافراز مادتها انما هو الماء فقط على خلاف ما يظنه العامة. وما يبين ذلك انك اذا ادخلت في بلعوم الكلب من عنقه دون فمه قطعة من المآكل يابسة كانت او طرية بقيت الغدد على حالتها ناشفة. اما الماء فللحال يبعثها على العمل. ومن ثم ينتج من هذه الاختبارات ان شرب الماء نافع للهضم. والافضل ان يباشر الأكل بشرب الحساء (الشُربة) لأنها تبعث غدد المعدة وتهيئ المعدة للهضم فضلاً عما فيها من الدسم المغذي

اما البنكرياس فان الذي يحرك افرازه انما هو الحامض الكلوردريك الذي تفرزه

المعدة وهو يعمل عن بُعد. واذا ادخلت في معدة كلب شيئاً قليلاً من هذا الحامض رأيت للحال غدّة البنكرياس تفرز مادتها. ومما يحركها ايضاً الدهن فانهُ يعجّل هضم البنكرياس في الامعاء بخلاف فعله في المعدة التي يثقل عليها الدهن فيؤجل هضمها. وهذا من جميل صنع الخالق فانهُ لولا فعل البنكرياس في المواد الدسمة الدهنيَّة لما اتت بنفع. فترى من هذا القبيل ايضاً انَّ الحساء (الشوربة) من المآكل المستحسنة وخصوصاً للمرضى. لانهُ يحتوي قليلاً من الدهن وهذا الدهن لا يكفي لتأجيل هضم المعدة وهو كافٍ لاستدرار سيَّال البنكرياس وتسهيل الهضم في الامعاء.

وكان الدكتور پاولوف الروسي قد لحظ عمل الحامض الكلوردريك عن بُعد وكان ينسبهُ الى عامل الانعكاس. الّا انَّ عالمين انكليزيين بيليس (Bayliss) وستارلنغ (Starling) واثنين من تلامذة پاولوف اكتشفوا انَّ هذا الافراز انَّما هو مسبَّب بعمل الدم. فانَّ المعى الذي يلحق بالمعدة اذا أثَّر فيه حامض يفرز مادةً لم يعرفوا حتى الان حقيقتها وقد دعوها سكريتين (sécrétine) والسكريتين اذا امتزجت بالدم ادرَّت سيَّال البنكرياس. وان اردت ان تختبر الامر فأدخل في معدة كلب احد الحوامض فللحال تسيل السكريتين من معاهُ فاذا القيتها في دم حيوان آخر رأيت غُدَّة البنكرياس تفرز سيَّالها

فترى مما سبق ايَّ وفاق عجيب في اعمال الخالق فانَّ المعى يساعد البنكرياس والبنكرياس يساعد المعدة والمعدة تتسارع الى العمل اذا دخلها الماء. والغاية من الغُدد الرضابيَّة ان تخفّف يبوسة الاطعمة بما تفرزهُ معها من الماء وتجريهِ الى المعدة. فمن يا ترى يزعم ان كل ذلك من الصدفة ليس من عمل اله قدير حكيم

وكذلك يوجد ائتلاف عظيم بين غدد الهضم وما تفرزهُ من المواد. فانَّ الپپسين (pepsine) الموجودة في المعدة تعمل من الزُلاليَّات (albuminoïdes) فينتج من عملها عصارة سمَّوها الپپتون (peptones) تساعد على هضم هذه الزلاليَّات وكذلك في سيَّال البنكرياس مادةً يدعونها تريپسين (trypsine) تساعد على افراز هذا السيَّال واذا ابتدأ عمل الهضم لا يزال دائراً متتابعاً فيصحّ المثل القائل انَّ شهوة الطعام تتزايد بالاكل. فترى انَّ لاعمال الطبيعة كلها غايةً تدلُّ على عمل الخالق

وقد قلنا آخراً ان المسيو باولوف قد بين ان عمل الهضم ليس هو عملاً ميكانيكياً محضاً بل اثبت ايضاً ان للنفس الحيّة فيه عملاً

وقد تقرَّر الآن ان اعظم محرّك في النفس يسهّل لها الهضم انّما هو شهوة الطعام. فان هذه الشهوة ربّما اثارت كلّ مظاهر الهضم حتى بلا اكل

ان الجميع يعلمون انّ رائحة الطعام تثير الشهوة وتزيد مائيّة الفم فالشهوة اذن تحرك الغدد الرضابية وتُجري لعابها. ولكن لم يعرف العلماء قدر هذا المحرّك قبل ان يختبرها الدكتور باولوف على الكلاب. فانهُ كان يترك احد كلابهِ المقطوعة البلعوم مدةً بلا طعام ثم يقدّم لهُ قطعة من اللحم يلوكها الكلب بقابليّة لكنّها تخرج من طرف البلعوم المقطوع دون ان تبلغ المعدة. ومع ذلك ترى المعدة تسير في عملها وتفرز عصارتها كأنها اغتذت باللحم حقيقةً

وقد غذا الدكتور باولوف كلباً مدة ساعات متوالية بهذه الطريقة وجمع ما افرزتهُ معدتهُ من المائيّة فبلغت ٧٥٠ غراماً

والحيوان لا يفرز فقط هذا السائل بمضغ الاطعمة بل بمجرَّد نظرهِ اليها. فقدِّمْ مثلاً لكلب مربوط قطعة من اللحم ترَ للحال غدد معدتهِ تفرز العصارة التي تساعد على الهضم. فان اطعمتهُ القطعة هضمها للحال

وفي كل ذلك دليل على ان الحيوان ليس هو مجرَّد غدد ليس لها سوى حركات ميكانيكيَّة بل تقوى نفسهِ ايضاً فعلٌ عظيم في اعمالهِ الغذائيَّة وهذه القوى هي مصدر ملذَّاتهِ وشواعرهِ. ولا بدَّ ان يُضاف في الانسان هذه القوى قوَّتان أُخريان اعلى رتبةً وهما الارادة والعقل. فسبحان الخالق ما اعظم حكمتهُ (لهُ بقيَّة)

الندامة

روايةٌ عصريَّة

بقلم نجيب افندي شملاني

كان العمُّ ابو غر يسكن احدى قرى البقاع ولهُ من الارزاق الواسعة ما يجعلهُ من اغنياء ناحيتهِ. ومع سعة ذات يدهِ ما كان ليستنكف من ملاحظة اراضيهِ وفلاحتها وزراعتها

بنفسه . وكان مع هذا لا يحيد عن مناهج آبائه في دينه وسذاجة طباعه ويؤثر في أهل بيته الفضائل المسيحيَّة والتقوى والآداب على الزخرفة الباطلة والبهرج الفارغ

بيد ان ابا غر مع ثروته كان بخيلاً شديد الحرص على ماله يقتر على عياله غاية ما امكنهُ . وكان لهُ ولدان ابنة تدعى زمرُّد وصبي اسمهُ فارس . وكان جمل الفتاة في مدرسة انشأتها راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين في قريته فتلقَّنت التعليم الديني وتعلَّمت اصول القراءة والكتابة واتقنت الاشغال اليدويَّة وهي مثال حيّ للحشمة واللطف والوداعة يشهد لحسن آدابها كل اهل القرية

امَّا فارس فسلَّمهُ ابوهُ الى معلم القرية سنة او سنتين لكنهُ احسَّ بعد قليل انَّ هذه المبادئ العلمية لا تفي بالحاجة في عصر راجت فيه سوق المعارف لاسيَّما انهُ رأى بعض اتراب ابنه من اهل القرية قد دخلوا في مدارس داخليَّة محكمة التدبير حسنة المبادئ واصابوا فيها نجاحًا لكنهُ توقَّف عن ارسال ابنه اليها اقتصادًا على ماله

وبينما هو في التفكير اذ قدم القرية ناظر احدى المدارس البروتستانية واخذ ينشد في مدرسته ويطري علومها ورغَّب ابا غر في ارسال ابنه اليها . فتشمَّم هذا بادئ بدء خوفًا على دين ولده وآدابه . لكنَّ الناظر لم يزل يسوّل لهُ الامر ويتاود في حق كفالة ابنه فارس حتى كاد يقبلهُ مجانًا في مدرسته . فاعمى شيطان المال ابا غر ونسي ان افضل مدرسةٍ ما رُوعيت فيها آداب الاحداث وواخى فيها الدينُ العلمَ بحيث يجريان في ميدان واحد كفرسي رهان واخوي لبان وان الاقتصاد في ذلك خطأ . ومن ثم سلَّم ابنهُ فلذة كبده الى طالبه بعد ان اوصاهُ به

دخل فارس المدرسة الداخليَّة واختلط بعدَّة فتية اجتمعوا فيها على اختلاف مذاهبهم واديانهم واكثرهم آكبر منهُ سنًّا ودونهُ سذاجةً . فما مرَّ عليه بضعة شهور حتى « تفتَّح » وتخلَّق باخلاقهم وتزيَّا بزيهم وادَّعى انهُ « صار متمدنًا » . امَّا الدين فكان أغاية ما يعرف منهُ بعض فصولٍ من التوراة تقرأ لهُ مرَّتين في الاسبوع . ويضيف القارئ الى قراءته تنديدًا « بالخرافات الكاثوليكيَّة والتعاليم البابويَّة »

على انَّ فارسًا وقت العطلة السنويَّة كان يعود الى بيت ابيه فيتصوَّن من المعايب امامهُ فيظنُّ والدهُ انَّهُ باقٍ على ايمانه متمسك بعُرى الآداب السليمة

بقي فارس في المدرسة خمس سنوات تعلم في اثنائها مع العلوم اللبس المهندم وفرق

الشعر وضفره والاكل على الطاولة بالشوكة والملعقة والسكين ووضع الاطباب وما شاكل ذلك. ولما خرج منها وذهب الى بيت ابيهِ لم تمد السكنى فيهِ تطيب لهُ وصار يرى كل شيء فيهِ غير لائق لهُ وبمقامهِ حتى انهُ اتصل الى ان يخجل بابيهِ ذاته وبامهِ ايضاً.
وعندئذٍ شعر والده بعظم الخسارة التي خسرها بابنهِ الذي ليس فقط لم يكن يشتغل اصلاً بل البطالة التي ألفها دفعتهُ الى خرق حرمة الادب واصبحت شهرته عاطلة في القرية وان شاء ابوهُ اصلاحهُ وردعهُ مرةً ضربهُ واهانهُ وكذلك امهُ او اختهُ حتى اصبح هذا المنزل بوجودهِ منزلاً جهنمياً واتصل رويداً رويداً ان يكون هو الآمر الوحيد فيهِ يشتم كل من لا ينفذ لهُ امراً بسرعة. امَّا اختهُ المسكينة فكان لها الحظ الاوفر من سوء معاملتهِ ومع وفرة آدابها كان يصفها بالحماقة والجنون اذ انها على رأيهِ ليست من بنات هذا العصر المتفننات

وكان ابوه قد شرع يفكر بواسطة تحبب اليهِ الشغل وتردعهُ عن اعمالهِ فلم يجد سوى منع الدراهم عنهُ فامتنع عن اعطائهِ اياها وبعد أيام من ذلك ضاق فارس ذرعاً وبعد شحذ الفكرة طويلاً عول على الذهاب الى اميركا واخذ اختهِ معهُ اذ انهُ سمع بان البنات يشتغلن وينجحن هنالك اكثر من الشبان ولما اظهر فكره لوالديهِ انتشبت حرب جديدة بينهم كان الانتصار فيها للشاب وضحَّى الوالدان ابنتهما المسكينة على مطامع ولدهما الطائش

ولمَّا عوَّل فارس واختهُ على السَّفر ذهبت زمرُّد لتودّع معلّماتها الفاضلات اللواتي بذلن الجهد ليصرفنها عن السفر ولمَّا لم يستطعن الى ذلك سبيلاً اهدتها الاخت كارولين معلّمتها صورة القلب الالهي وقالت لها: احرصي على هذه الصورة فانّها تحرسك وتذكرك بنصائح معلّماتك. واياكِ اياكِ المعاشرات الردية والتهامل في امور دينك، فبمثل هذه الارشادات التقويَّة زودت المعلّمة الفاضلة تلميذتها. وفي بعض أيام شهر حزيران من سنة ١٨٩٠ فارق فارس واختهُ والديهما الكئيبين وابحرا الى مرسيلية ومنها الى نيويرك

ولمَّا ابتعد الولدان شعر ابو غنر بسوء عاقبة بخلهِ الذي حملهُ على الاقتصاد في النفقات على تربية ابنهِ تربيةً صالحة مبنيَّة على خوفهِ تعالى وروح التُّقى الَّا انهُ لات

حين ندم فبقي هو وامرأتهُ يتقلَّبان على جمر القتاد لا يذوقان بفرقة ولديهما راحةً ليلاً مع نهار

امَّا فارس فانهُ لمَّا وصل نيويرك تنشَّق نسيم الحرّيَة المطلقة وخال لهُ كما لكثيرين من شبَّان عصرنا بانَّ الحرية تتوقَّف على اتباع الاهواء المنحرفة الَّا انهُ كان في ضلال مبين ولهذا تعرَّف في الحانات التي أوى اليها بعض الشبَّان الذين عبدوا اميالهم وشهواتهم والذين من دأبهم سلب آداب الغير ودراهمهم فصادقوه حبًّا بالانتفاع من مالهِ وجماوه ان يتبع طريقتهم المعوجّ وهناك قد فقد تمامًا ما تبقى فيهِ من الفطرة السوريَّة الادبية حتى انهُ اهمل اختهُ تمامًا ولم يعد يتذكر بها الَّا نادرًا وكانت المسكينة تطوي ايامًا بدون طعام وهي صابرة على احكام الله وتعدّ ذلك قصاصًا لها لانها لم تستمع الى نصائح الراهبات معلماتها وتبقى في وطنها ناعمة البال. امَّا فارس فلم يفق من غفلتهِ حتى فقد ما معهُ من المال ونبذهُ اصدقاؤهُ عنهم نبذ النواة وعندئذٍ رجع الى اختهِ وهو يندب حالته ويتأسف على ما فات ولكن كان قد سبق السيف العذل

بقي فارس يومين وجيبه خالٍ من المال واحشاؤهُ من الطعام هو واختهُ وهذه مقيمة على الصلوة وهو مقيم على المسبَّات والشتائم ولمَّا اشتد عليهِ الجوع طلب الى اختهِ ان تذهب وتتسوَّل ما يسدُّ عوزهما. لكنَّ زمرُّد لم تعتد مثل هذه المهنة الدنيئة والخجل كان من اخص صفاتها فابت وفضلت الموت على التسول في الاسواق وكان رفضها هذا سببًا لاشتداد غيظ اخيها عليها وضربها ضربًا مبرحًا حتى اضطرت صاغرة الى اجراء اوامره وبعد نهار ذاقت فيهِ الامرَّين من جرَّاء مهنتها هذه الجديدة جمعت بعض دريهمات سدَّت عوزهما. امَّا اخوها فلمَّا رأى بان زمرُّد قد نجحت بمهنتها هذه صار يكرهها كل يوم على التسوُّل وهو يأخذ منها ما تجمعهُ حتى صارت تودُّ لو تنجو بموتها من هذه العيشة الشقيَّة

قضت زمرُّد على هذه الحالة بضعة اسابيع وهي تطوف في شوارع المدينة وحدها معرَّضة للاخطار جسدًا ونفسًا حتى اوقعها يومًا احد مواطنيها في حبائلهِ فباعتهُ نفسها بمبلغ من الدراهم.

على انها ما لبثت ان افاقت من سكرتها فاستولى عليها القنوط ومزَّق قلبها مهماز الضمير وضاقت في عينها الدنيا بما رحبت. وبعد ان تجوَّلت الى المساء في انحاء المدينة

هائمة في وجهها كأنها فقدت الشعور عادت الى الكوخ الحقير الذي كانت تسكنهُ واخاها فالقت على اقدامهِ ثمرة برارتها واوت الى فراشها دون ان تذوق لماظاً

الّا ان الليل زاد في بلبالها واقضَّ مضجعها وبلغ بها كربها الى ان قامت واخوها نائم وعمدت الى صندوقة متاعها وفتحتها لتأخذ منها منطقتها فتشنق نفسها بها ظنًّا منها أنها تتملَّص بذلك من صوت ضميرها وعيشتها النكودة

وبينا هي تقلّب ثيابها واذا بصورة القلب الالهي التي اتحفتها بها الاخت كارولين في قريتها . فما التقت عليها نظرها حتى تحرَّكت عواطفها وتذكَّرت وصايا معلّمتها والايام السعيدة التي قضتها في التقوى والطهارة . ففعل فيها هذا المنظر فعل الراعي الصالح في النعجة الضالّة ومن ساعتها انطرحت عند اقدام الربّ وذرفت الدموع السخينة على خطيئتها وقصدت ان تكفّر عنها باقرب وقت

فلمّا تنفّس الصُبح جمعت بعض حوائجها واخذت شيئاً من الدراهم التي حصلت عليها امس وخرجت من البيت همساً دون ان يشعر بها اخوها وسارت الى الكنيسة المارونية التي هي في احد احياء نيويرك البعيدة واقرّت بذنوبها الى الكاهن ثم تزوَّدت بالقربان الاقدس ليثبت الرب عزيمتها وينجيها من اخطار هذا العالم الشرّير

ثم قامت وقد عاد الى قلبها سلامهُ ومشت توًّا الى محطة قريبة وقطعت لها ورقةً الى مدينة بوسطون القريبة . ولمّا بلغتها ركبت عجلةً تقودها الى المستشفى الكاثوليكي فيها

وبعد قليل واجهت رئيسة المستشفى وطلبت منها ان تقبلها في سلك راهباتها وان شاءت ان تختبر ثباتها فانّها مستعدة ان تخدم المرضى مدَّةً الى ان تقف على حسن سلوكها وتتحقَّق دعوتها

فرضيت الرئيسة بالطالبة واختبرت فضيلتها مدَّة ستَّة اشهر وجدتها فيها طوع بنانها ومثالاً للتقوى والنشاط فالبستها ثوب المبتديات ودعتها بالاخت مرغريتا

فلنعودنَّ الان الى فارس وما جرى لهُ بعد فراق اختهِ . فانهُ لمّا قام في ضحى النهار ورأى زمرُّد غائبةً اخذ يطلبها بين المهاجرين من بني جلدتهِ فلم يمكنهُ احد ان يطلعهُ على خبرها . الّا ان الكاهن الماروني آكّد لهُ بأنها حضرت قدَّاسهُ وتقرَّبت الى الاسرار لكنّهُ لم يعرف ماذا صار لها بعد ذلك

فدار فارس مدَّةً في جهات المدينة لكنّهُ عاد المساء خائباً قد اخذ منهُ التعب

والغضب معاً كل مأخذ وبقي اياماً على ذلك حتى صرف الى آخر فلس اكتسبتهُ اختهُ بالتسوُّل واضطرَّ لسدّ جوعهِ ان يذهب ويشتغل مع الفَعَلة باصلاح الطرقات. فذاق الغصص بهذا الشغل وهو «ابن مدارس» لم يعتد على هذه الاعمال الشاقَّة

فنوى ان يعود الى قريتهِ ليعيش فيها من مال والدهِ فكتب لهُ يطلب منهُ ان يُرسل اليهِ شيئاً من الدراهم ليمكنهُ ان يركب البحر ويقفل راجعاً الى بيتهِ. وفي الكتاب نفسهِ اعلم والدهُ بان زمرّد اختهُ قد ماتت بحمَّى خبيثة لم تصبر عليها اكثر من يومين. فورد الكتاب على والدي فارس فكان لهما بمنزلة صاعقة انقضَّت عليهما والقتهما في لجَّة الاحزان. حتَّى انهما صرفا اسبوعاً لا اكلاً ولا نوماً. وكان ابو غر خصوصاً يأبى ان يتسلَّى وينسب الى بخلهِ كلَّ البلايا التي حلَّت بولديهِ حتى انهُ بزمن قليل انحلَّت قواهُ وأُصيب بضربة في دماغهِ كانت القاضية على عمرهِ

فبقيت امرأتهُ الارملة غائصةً في بحور الاوجاع حتَّى خيف ايضاً على حياتها. لكنَّها بفضل راهبات قلبي يسوع ومريم عادت بعد شهر الى الصحَّة وكان اوَّل فكرها ان ترسل لابنها ما طلبهُ من الدراهم ليعود الى وطنهِ وبلَّغتهُ خبر وفاة والدهِ

فلمَّا وصلت الى ايدي فارس ألركة امهِ طار فرحاً لخبر موت والدهِ اذ صارت اليهِ كل امواله بحقّ الوراثة. فبادر الى ركوب سفينة مقلعة الى ليڤربول ولم يمرَّ عليهِ ثلاثة اسابيع حتَّى نزل مرفأ بيروت وسار منها توّاً الى قريتهِ

وما كاد يحتلُّ بيت والدهِ ويتبادل مع امهِ بعض عبارات التعزية كعادة اهل الوطن حتَّى همَّ في تقييد اموال ابيهِ وتثمين اعقارهِ فباعها دون علم امهِ بنصف الثمن وفي نيَّتهِ ان يعود الى نيو يرك فيفتح فيها محلاً تجارياً اذ لم يمكنهُ ان يعيش في ضيعتهِ كالقرويين

فحدِّث عن حزن امّ فارس ولا حرج لمَّا اطَّلعت على فكر ولدها بان يتركها وحدها بلا سند ويرجع الى اميركة. فاستحلفتهُ بالله وبكل عزيز عليهِ بألَّا يفارقها في هذه الحالة

غير انَّ قلب فارس كان اقسى من الجلمود وبعد ان تظاهر مدَّة بتغيير افكارهِ توارى في بعض الأيَّام وابحر من طرابلس لئلا تعرف امهُ بسفرهِ. فكان هذا السفر علَّة موتها بعد شهر وهي تطلب من الله ان لا يكون موتها كفَّارة عن ذنوب ابنها

وبينما كانت تلك الامّ المسكينة تنازع على فراش الاوجاع كان فارس يهنّئ نفسهُ بالظفر ويمنّيها بالاماني الطيبة. فلمَّا وصل الى نيو يرك اراد ان يشارك رشيداً احد

السوريين الذين كانوا من معارف والدهِ ابي نمر وهو نازل يومئذٍ في بوسطن

فركب يوماً قطار الليل ليصبح في بوسطن ويعقد مع رشيد المذكور شركةً تجاريَّة وكان الزمن شتاء والامطار تجري كالسيول. فما لبث البخار أن حمل المسافرين على جناحهِ بسرعة غريبة لا يعرفها غير الاميركيين. امَّا فارس فانهُ كان في احد قطارات الدرجة الثانية وحدهُ فتوسَّد المسند ونام

وهو كذلك واذا بالقطار بلغ مكاناً في وادٍ جرفت عليهِ السيول وازاحت قطعة من سكَّتهِ الحديديَّة فخرج عن الخط واصطدم بصخور هناك فسُمع لصدمتهِ صوت هائل وطارت قطعهُ شعاعاً في وسط الليل الدامس. امَّا الركاب فتحطَّموا وطُحنوا طحناً الَّا قليلًا منهم جُرحوا بجروح بليغة فنقلوا في غد الى مستشفى بوسطن

وكان فارس من جملة هؤلاء المنكودي الحظ لم يشعر بحالهِ في اليوم الثاني الَّا وهو على فراش من الاوجاع ينتظر موتهُ من دقيقة الى أُخرى. وكان بجانبهِ كاهن وبيدهِ صليب يحضهُ على التوبة ويوجه بنظرهِ الى الابديَّة. فاذا رأى فارس الكاهن والصليب ردَّ وجههُ عنهما ببغض كانهُ لا يطيق هذا المنظر الممقوت وفي الوقت عينهِ اتت راهبة في مقتبل الشباب وتقرَّبت من الجريح لتضمد جراحهُ. فما كادت تراهُ حتى وقعت صارخة: «اخي فارس»

فاجتمع حولها الحضور ونضحوا وجهها بالماء. فلمَّا افاقت ترامت بين ذراعي اخيها باكيةً فعرفها فارس وتأثَّر من منظرها وذكر سوء معاملتهِ لها. فاراد ان يعتذر اليها الَّا انَّ الاخت مرغريتا طلبت اليهِ ان ينسى كل ما مضى وناشدتهُ الله بان يتكر في نفسهِ. ولم تزل تسعى عندهُ حتى رقَّقت قلبهُ واعدتَّهُ لقبول الاسرار. وبعد ساعة قضاها فارس في كلّ عواطف التوبة والندامة فاضت نفسهُ مطهَّرة بدموع اختهِ فشكرت الاخت مرغريتا القلب الأَقدس الذي سحق نفسها بالندامة وارسلها الى ذلك المستشفى لخلاص شقيقها

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الالقاب المريميَّة في فرض الكنيسة المارونية — هذه باكورة المصنَّفات المريميَّة التي بادر الشرقيُّون الى تقدمتها للجنة المنعقدة في رومية بنسبة حفلات اليوبيل الخمسيني للحبل بلا دنس. والبواكير لذيذة فنهنّئ حضرة الابوين الفاضلين يوسف وبطرس حبيقة على همتهما ونتمنَّى لنَّ غيرهم من اهل بلادنا يتسارعون الى الاقتفاء بآثارهم

Les Cryptes Vaticanes
Par l'abbé D. Dufresne, prêtre de S. Sulpice
Paris, Desclée, Lefebvre et Cie, 1902, in-8, p. 128
الدياميس الفاتيكانية

انَّ تحت كنيسة القديس بطرس الحاليَّة في الفاتيكان اسرابًا واسعة يرتقي عهد قسم منها الى ايَّام قسطنطين الكبير لمَّا اقام الكنيسة الاولى على ذكر هامة الرسل. وكان الديماس السابق على شكل نصف دائرة يلحق بها دهليز وفي آخر الدهليز معبدٌ شُيّد على ما يُظنّ فوق قبر الرسول من جهة رأسهِ. ولمَّا بُنيت الكنيسة الحاليَّة في القرن السادس عشر امر البابا بولس الثالث (١٥٣٤–١٥٤٩) بتوسيع هذه الاسراب بحيث تُضحي كمثل بيعةٍ ملكيَّة عظيمة تحدق بقبر الرسول. وهذا الفكر خرج الى حيز العمل على عهد خلفاء بولس الثالث. وحضرة الاب دوفرين مؤلف هذا الكتاب قد جمع كل ما يختص بتاريخ هذه الدياميس ووصفها مع بيان كل اقسامها وما فيها من الآثار والعاديَّات والكتابات والفسيفساء والنقوش الى غير ذلك ممَّا يجعل هذا الكتاب فريدًا في بابهِ فضلًا عن رسومهِ الدقيقة وتصاويرهِ البديعة الاب ل. جلابرت

شذرات

تهنئة المشرق بعامهِ السابع ليس من عادة مجلتنا ان تنشر ما يُرسل اليها من القصائد في مدحها. الَّا انهُ لا يسعنا ان نضرب صفحًا عن ابيات غاية في الجودة والانسجام تلطَّف سيادة المنسنيور يوسف العلم بارسالها الى ادارة المشرق يهنئنا فيها على بلوغنا العام السابع من صدور هذه المجلة الموقوفة على خدمة كل الطوائف الشرقيَّة الكاثوليكيَّة فاخترنا منها ما يلي مستميحين من سيادتهِ عذرًا عمَّا لم نذكرهُ منها

وبجلَّةٍ تجلو الظلام بنورها ... بسمت لها الابصار منذ ظهورها
وشعارها « أُفقهُ نورٌ » شاهد ... بقوامها وقيامها بامورها
الله نورٌ والهدى من نورهِ ... قد ضاء في الدنيا على ديجُورها
ما ضرَّ هذا الكونَ الَّا ظلمةٌ ... سملت بها الأيَّامُ عين بصيرها
وكانَّما آيات موسى جدَّدت ... ظلمات مصر في جميع عصورها
فانهالت العميان تخبط عندها ... كتخبُّط العشواء عند مسيرها

ما هام بالظلمات ألا احمق   يبقى بخطواها ركوب غرورها
بالنور اعمال الظلام تميَّت   وحقيقة الاشياء. عند نشورها
الخير مكشوف الجبين لناظر   والشر في الاعمال طي سطورها
والبطل لا يرضيهِ الَّا كتمهُ   والحقُّ مثل الشمس في منشورها
جاءت مجلتنا لسابع عهدها   كنائز سبع تشعُّ بنورها
بفضائل سبع لسبع مواهب   زانت صحائفها وكل سطورها
عربية ما زال طالع حسنها   يزداد مجدًا من كمال شعورها
راجت معارفها رواجَ جواهر   فتزاحم الطلاَّبُ حول بحورها
سوريَّة ظهرت بغرة مشرق   فاستشرقوا في الغرب نحو ظهورها
بالدين والعلم الحياة لناطق   ونفوسنا موتى بدون شعورها
ومدار هذين الحقيقة عند من   طلَب الحقيقة عند صدر صدورها
يا سابع الاعوام صرت معززًا   بمجلة جلَّت بفضل نصيرها
بلِّغ تهانينا بكرٍ سبعتَ   واليُمن من عناهُ في تكبيرها

حياة الجلد البشري للجلد البشري حياة ربَّما دامت عدَّة ساعات بعد قطعهِ لا سيما اذا كان رجل سليم. لمَّا جلد الميت او المنازع فحياتهُ اقصر من ذلك. وقد لحظ الدكتور الانكليزي ڤالِّر (Waller) انَّ الاعضاء المقطوعة تحيا الى يومين بعد قطعها. وهذه الحياة في العظام والجلد اثبت. وممَّا ثبت بالاختبار انَّ الانف اذا قُطع ولُحم بعد قطعهِ التحم باصلهِ وكذلك شفى بعض الجرَّاحين امرأةً من آكلةٍ في صدرها بعد ان قُطع تديها وجعل مكانهُ قطعة من جلد كتفها. فصار صدرها سويًّا. ومن غريب الامور انَّ هذه الحياة تختلف في الاعضاء اختلافًا كبيرًا فبقدر ما يكون العضو شريفًا تكون حياتهُ اقصر مثال ذلك الدماغ فانَّهُ لا يعيش طويلًا بعد انفصالهِ عن جسم الحيوان

ترحاب نرحب بمجلَّة كاثوليكية طلعت في افق عالم الدين. ألا وهي مجلَّة «المباحث» التي اصدرها منشئها العلامة الفاضل الخوري جرجس فرج صفير وكيل بطركخانة الموارنة في الاسكندريَّة ونتمنَّى لها من صميم القلب كلَّ رواج وترقٍ في قطر طالما نبتت فيهِ اشواك التعاليم الفاسدة حتى كادت تخنق الزرع الجيِّد.

أسئلة وأجوبة

س كتب ن . ع . من حمص : انّنا قرأنا لاحد الفضوليين من حمص نبذة في احدى المجلّات المصريّة يدّعي فيها انكم اخطأتم بقولكم انّ القديس انيقيطس ولد في حمص وانّ الصواب ان مولده في اميسة في اسيا الصغرى التي اسمها اليوم اماسيا وشحن نبذته شتماً

القديس انيقيطس الحمصي

ج ان المخطئ هو الحمصيّ الفضوليّ المذكور . فانّ مولد القديس انيقيطس في حمص امرٌ لا ريب فيه . والدليل على ذلك : ١ لانّ اقدم كتاب يذكر تراجم الباباوات هو الكتاب الحبري (Liber Pontificalis) يصرّح بالامر ويذكر ولادتهُ في حمص في عدده الثاني عشر . ٢ وقد وافقهُ على ذلك الاب مرتينوس في تاريخ لبنان المخطوط (ص ١٩٦٧) حيث عدّ البابا انيقيطس ممّن شرّفوا مدينة حمص . ٣ وكذلك اثبت في السنة المنصرمة احد كبار المؤرخين لويس برهيار (L. Bréhier) في كتابهِ النفيس المعنون : « مستعمرات الشرقيين في بلاد الغرب في القرون المتوسطة » الذي قدّمهُ لمؤتمر المستشرقين في هبورغ ونشرتهُ المجلّة البوزنطيّة الشهيرة انّ القديس انيقيطس كان من حمص فقال ما حرفهُ بالفرنسيّة :

Du 1er au Ve siècle dix papes seulement sont mentionnés par le *Liber Pontificalis* comme étant d'origine orientale... et un seul d'entre eux Anicitus (151-158) était Syrien, originaire d'Emèse.

ثم انّ في نبذة المنتقد عدّة اغلاط منها قولهُ ان اميسة هي لماسيا التي ذكرها ابن العبري : والمعروف انّ اميسة (والصواب اميسوس) على ساحل البحر الاسود امّا لماسيا فهي من اعمال برّ الاناضول على مسافة ازيد من ٢٠٠ كيلومتر من اميسة . وكذلك زعمهُ انّ البابا انيقيطس سوري مع كونهِ ولد في بلاد البنطس وبين سوريّة والبنطس مسافة نحو الف كيلومتر لا ٢٠٠ كما زعم الكاتب فتأمل . هذا امّا شتائم المذكور والمجلّة التي كتب فيها فلا نبالي بها بل نعدّ فخراً تعييرات السفهاء والماسونيين وفقاً لقولهِ تعالى « طوبى لكم اذا عيّروكم »

س سأل من بغداد حضرة الاب انستاس الكرملي عن البيت الآتي الوارد في كتاب الوحوش للاصمعي في الصفحة ٣٧ من طبعة الدكتور غاير

سلقٌ خليلُ سلقة طلّاسِ لا يسأم العريسُ من افلاسِ

هل روايتهُ صحيحة وما معنى العريس — (جوابنا لعدد قادم) ل . ش